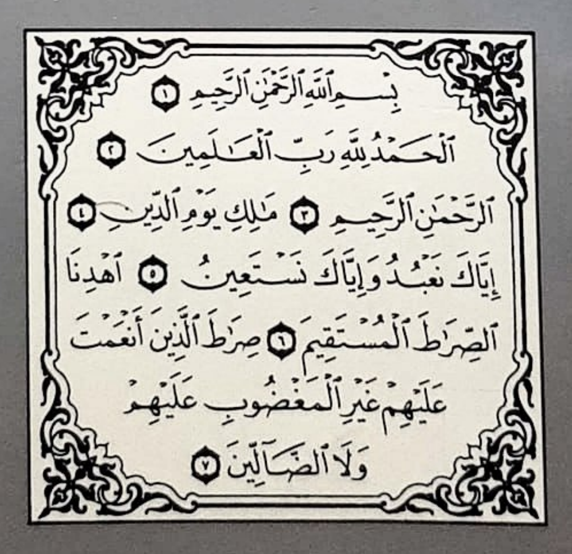


في رحاب القرآن

إشراقات وتأملات وخواطر من أجواء القرآن الكريم

أم الكتاب



عمر بهاء الدين الأميري

عمر بهاء الدين الأميري

- ولد ونشأ وأتمّ دراسته الثانوية (في الآداب والعلوم والفلسفة) في حلب .
- دَرَس الأدب وفقه اللغة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة السوربون في باريس ، والحقوق في الجامعة السورية بدمشق .
- درّس علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والتاريخ والحضارة في حلب ودمشق . وتولّى إدارة المعهد العربي الإسلامي في دمشق .
- أسهم في انطلاقة العمل الإسلامي المعاصر ، واتصل بكثير من مراكزه ، وتولّى بعض مسؤولياته .
- شارك في الدفاع عن « القدس » مع جيش الإنقاذ خلال حرب فلسطين عام (١٣٧٩ هـ - ١٩٤٨ م) .
- مثّل سورية وزيراً وسفيراً في باكستان والسعودية ؛ وكان سفيراً في وزارة الخارجية السورية .
- أسهم في تأسيس حركة « سورية الحرة » ، وكان رئيس الجانب السياسي فيها عام (١٣٨٤ هـ - ١٩٥٣ م) .
- اهتم بقضايا الثقافة والسياسة والجهاد في أوطان العروبة والإسلام ، واشترك في العديد من مؤتمراتها ومواسمها ، واتصل بكبار علمائها ورجالاتها ومؤسساتها .
- دعي إلى المغرب عام ١٣٨٦ هـ أستاذًا لكرسي الإسلام والتيارات المعاصرة في دار الحديث الحَسَنِيّة بالرباط (الدراسات العليا للدبلوم ، والدكتوراه بجامعة القرويين في المغرب) ، واستمرّ خمسة عشر عامًا . كما درّس الحضارة الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس .
- دُعِيَ أستاذًا زائرًا ومحاضرًا في جامعات : الرياض ، والإمام محمد بن سعود ، والملك فيصل ، والملك عبد العزيز في السعودية ؛ وجامعات : الأزهر ، والجزائر ، والكويت ، وصنعاء ، وقطر ؛ والجامعة الأردنية في عمّان ، وجامعة الإمارات العربية في العين ، وعدد من الجامعات الإسلامية في باكستان ، وتركيا ، وأندونيسيا .
- عضو في أسرتيْ المجمع العلمي العراقي ، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في الأردن .
- شاعر منذ بواكير عمره . طُبع له عشرون من آثاره في الشعر والفكر . وتُرجمت بعض قصائده إلى لغات بلادٍ إسلاميةٍ وأجنبية . ولديه عدد كبير من الدواوين والبحوث والمذكرات المخطوطة .
- أُلِّفت في دراسة شعره وفكره أطروحات جامعية عدّة ، وعُرِف في الأوساط الأدبية بـ « شاعر الإنسانية المؤمنة » .
- يتكلم التركية ، والأوردية ، والفرنسية ؛ ويلمّ بلغاتٍ أخرى .


أمّ الكتاب

الطبعة الأولى

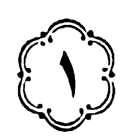
١٤٠٦



دار القرآن الكريم

بيروت - لبنان - ص ب ٧٤٩٢

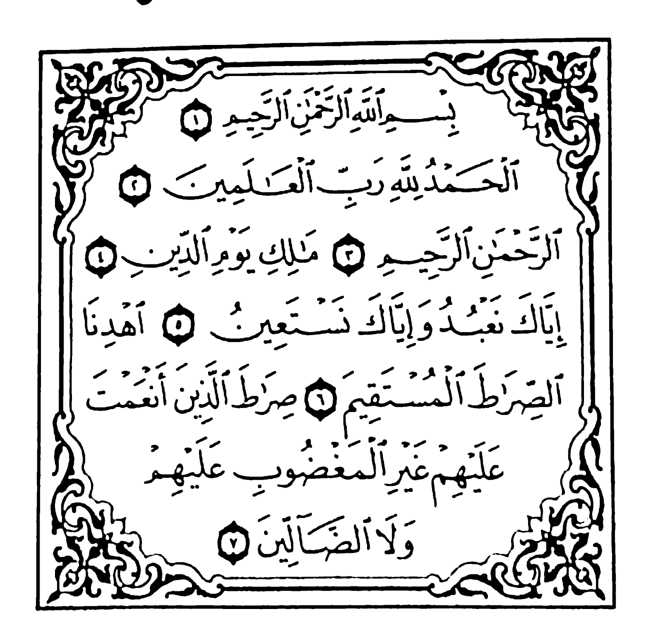
وطبع في ألمانيا الغربية - شتوتغارت - مطابع كلت



في رحاب القرآن

إشراقات وتأملات وخواطر من أجواء القرآن الكريم

أمّ الكتاب



عمر بهاء الدين الأميري



في رحاب القرآن

- سلسلة خواطر وتأملات في رحاب الإسلام وقرآنه المجيد .
- عرض مبسط لجوانب من الإسلام ، وتفسير سهل لآيات من القرآن الكريم ،بأسلوب أدبي جديد .
- أرقام الآيات المستشهد بها وسورها مدرجة في آخر الكتاب حسب تسلسل ورودها .
- يضمّ هذا الكتاب المواضيع التالية :

« فى غار حراء » ، « أمّ الكتاب » ، « الإسلام والحياة » ، « قرآن عربى » .

- أذيعت من التلفاز المغربى خلال شهر رمضان المبارك عام ١٣٩١ هـ .
- صدرت طبعتها الأولى عن « دار القرآن الكريم » فى بيروت عام ١٣٩٢هـ .

- في غار حراء
- أم الكتاب
- الإسلام والحياة
- قرآن عربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

صدرت الطبعة الأولىٰ من هذا الكتيِّب قبل اثني عشر عاماً، حلقةً أولىٰ من سلسلةٍ اخترت لها عنوان « في رحاب القرآن » ، أسجل فيها ما تولِّده تلاوتي لكتاب الله المجيد ، في بكور الفجر أو عتبات النوم ، من إشراقاتٍ وتأملاتٍ وخواطر

كنت أدوِّن ما يتلامع في ذهني ، أحتفظ به لميعاده بين جُذاذات أفكاري وآثاري ، حتىٰ إذا دعت المناسبة استخرجت منه مادةً أو استشهادات أُوثِّقُها وأُحققها لبحوثي ومحاضراتي ، ما وجدتُ إلى ذلك سبيلا .

وكانت الحلقة الثانية بعنوان « **عروبة وإسلام** » ،

وهي محاضرة كنت ألقيتها بدعوة **جامعة الأزهر في قاعة «الإمام محمد عبده»** . . وشغلتني لأواء الحياة وزحمة الالتزامات خلال السنوات الخاليات ، فلم أفرغ لإعادة طباعة ما نفد ، من القليل الذي صدر لي على تباعد ؛ ولا لنشر شيءٍ من مخطوطاتٍ كثيرة متزايدة تزحف نحو المئة.

•

وأتممت في دار الحديث الحَسَنِيَّة في الرباط خمس عشرة سنة ، تحلَّلت بعدها من الارتباط بأيّ عقد ، فتيسّر لي الإسهام بمزيد من الندوات والمؤتمرات الإسلامية الجهادية والحضارية ، وتلبية دعوات جامعاتٍ عدّة أستاذًا زائرًا أو محاضرًا . وكثُر سؤالي خلال ذلك عن آثاري ، ما طُبع ونفد ، وما لم يُطبع ؛ وقُدِّمتْ لي عروض كريمة من دور نشرٍ صديقة ، فأقمت على نفسي الحجة مع المحتجين ، وعزمت أن أبادر الفرص وأنتهز الوقت الذي يتبقّىٰ بعد الأسفار والتزاماتها ، فأعمل على نشر الجاهز مهما قلّ ، وأستعجل إنجاز ما يتطلّب استكمالاً قبل أن يحمّ إبّان رحلة الراحة الكبرىٰ ، حيث يمتد الأمل ويتوقف العمل .

•

تلقيت بعد صدور الحلقتين من الرحاب رسائل ثناء ، وعلَّقتْ عليهما ، ونقلتْ منهما ، مجلات إسلامية عدة . وكان كل ذلك يدور في فلك الحمد ، أماالنقد فلم أتلقَّ منه إلا رسالة مطوّلة بعد سنوات بتوقيع « زكريا خميس » صادرة عن برلين ، وقد اشتد في نقد ماكتبته عن العروبة خلال بحث : « **قرءان عربي** » في الحلقة الأولى ، وكل ما جاء عن « **قومية الفطرة ، وعن العرب ومقامهم في الإسلام** » في الحلقة الثانية ، ووصفه « **بالكوارث** » ! . . ورغم بُعد الرسالة عن مستوى النقد العلمي وذوق الحوار ، فقد أجبته ، ووعدته أن أُشير إلى نقده في الطبعة التالية ! .

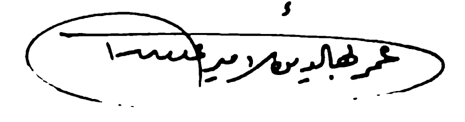
قال إنه : « استاء استياءً شديدًا مما في الكتيِّبين من أخطاء وانحرافات عن الجادّة » ، ووصف بعض أفكاري فيهما « **بالسموم الملطّفة** » ! . ولمّا كان موضوع نقده المر يدور حول كلمة « **العروبة** » ، وما أوردته من الأحاديث والآثار حول شأنيَّة **العرب في الإسلام** ، ترجَّح لديَّ الاكتفاء الآن بما أشرت إليه من الرسالة ، وقد أنشرها وأعلِّق عليها في الطبعة الثالثة لـ : « **عروبة وإسلام** » إن شاء الله ، مثبتًا

فيما يلي فقرة من جوابي له ، لتعلُّقها بمنهجية البحث ــ أيٍّ بحث ــ بشكلٍ عام :

« الذي يهمني أن أؤكده ، هو أنني أعتقد أن مواقف الإسلام من الحق كانت دائما أصيلة لوجه الحق نفسه . ولم تكن ردود فعل ؛ فإننا وإنْ جار الآخرون ، نلتزم العدل والعقل . . وأنا في محاضرتي « عروبة وإسلام » ، وفي كل ما يصدر عني ، أحرص على أن آخذ نفسي بهذا المبدأ » . .

●

وبعد ؛ فالله سبحانه أسأل ، أن يستخدمنا في إعلاء كلمته ، وخدمة دينه وأمته ، وأن يختم لنا بالرضوان والإحسان . . في عباده المخلصين ، إنه نِعم المولىٰ ونِعم المُعين .



الدوحة في :
٢٢ من رمضان ١٤٠٤ هـ



في غار حراء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡرَأۡ ..

ٱقۡرَأۡ ..

ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ..

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ

ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ..

عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ

فِي غَارِ حِرَاء

ـ **يا محمد** ، أَنت رسول الله ، وأَنـا جبريل .

وأُخِذَ الصادق الأَمين بروعة هذا الهاتف الخطير ، ورفع رأسه إلى السماء ، فإذا بالمَلَك الكريم ، يُطل ويردد :

نداء من السماء

ـ **يا محمد** ، أَنت رسول الله ، وأَنـا جبريل ...

فتلبث محمد لا يتقدم ولا يتأَخر ، ما

شاءَ الله له أَن يتلبث ، وكأَنما انطلق من إسار الزمان والمكان ، حتى بعثت الزوج الرؤوم برُسُلِها إليه ... في « غار حراء » ...

●

– يا أُمّ المؤمنين ، حدثينا عن طلائع الوحي ؟

طلائع الوحي

– **قالت عـائشة رضي الله عنها :** أَولُ ما بُديءَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي ، الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءَت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب اليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، يتحنث فيه الليالِيَ ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ...

●

« **غـار حراء** » في أَعالي الجبل ، على مشارف أُمّ القرى ..

الى
جبل
النور

جبل النور ، صاعد ، مقطوع الانحدار كأَنه جدار مائل تلفه صخور نهداء جرداء ، يدور بمرتقيه نحو قمةٍ ذات بسطة ..

كان رفيقي إليه ، صديق من كرام أَبناء مكة ... وكادت أَنفاسنا تتقطع إِعياءً أَول إِصعادنا ... وكنا ، مرّة بعد مرّة ، نبحث عن سطح صخرةٍ ملساءَ ، تتسع لنا متجاورين أَو متقاربين ، نستردُّ أَنـــاة صدرنا ، ونتنفس الصُّعَداءَ ، وقد ننادي بالدليل الذي يتقدمنا ، فيعود إِلينا بمحافظة الماء البارد نتروّى جرعاً ، قبل أَن نتابع الصعود ... ... واصفرّت الشمس ، وامتدت المشارف ... وسمونا عن الأَرض ، أَكثر مما علونا ... وبدل أَن يزداد إِعياؤنا ، كان يتناقص !!

سمو
عن
الارض

ـ قلت لصاحبي وكان يشكو الربو : أما زلت في ضيق ؟

ـ قال : بل ذهب عني كُلُّ ما كان يُضرُّ بي !!

فوق ذرى التاريخ

وجلسنا جِلسة المرتاح ، هذه المرّة : نتأمل غروب الشمس في صمتٍ بليغٍ . زاخرٍ بالمشاعر والأحاسيس ، وفي جوانحنا قوة دافعة تحلق بنا فوق ذرى التاريخ ...

كان الصمت يذوب ، وتتسامع خفقات القلوب ... وارتقينا حتى بلغنا القمة . مع آخر ذرةٍ من شعاع ذكاء ... وأخذنا بَهَرٌ ، فلم نملك أنفسنا أن نؤذِّن بأعلى الصوت ،

اذان مشبوب

مشبوبين مجذوبين ، والأصداء تتجاوب وتعيد : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا

إلّه إلا الله ... أَشهد أَن محمداً رسول الله .

●

غار حراء ؛ تجويفٌ تعلوه الصخور ، يرتفع عن قامة الرجل الطويل ولا يكاد ، ويتسع لتمدده ولا يزيد ، يُنحدر اليه تدرجاً ، اعتماداً على جوانب مدخله ، أَرضه تراب ناعم ، وعرضه ، صلاة اثنين متلاصقين ...

غار حراء

وكانت فريضة المغرب ، وكأَنما أَقمناها في السماءِ مع الملأ الأَعلى : تجردٌ وخشوع ، وإشراقٌ ودموع :

هنا سَجَد « المصطفى » والدُّموعُ
تخطُّ أَخاديدَ فوقَ الخُدودْ
سُجودٌ تجلّى عليه الإلّهُ
بإشراقه ، يا لَهُ مِنْ سُجودْ !

سُجودٌ تلبَّثَ مِنْ رَوْضِهِ
شذىً مِلْؤُهُ نَفَحات وَجُودْ

سجود

يَدورُ مع الدَهْرِ ، في كلِّ قَلْبِ
نقيٍّ ، وفي كُلِّ عَوْدٍ يَعُودْ

وهيام

وهام الهوى بجَناني بعيداً
بعيداً ، وراءَ الرُؤَى والحدُودْ

فَطَالَعْتُ ، والوَجْدُ يحدو خَيالي ،
صَحائِفَ مِنْ سِفْرِ مَجْدِ الجُدودْ

وَقَدْ كَتَبَ الدَّهرُ « عُنْوانَهُ ،
بنورِ الجهادِ : صراطُ الخلودْ »

فأَومض في غَوْرِ عَينيَّ بَرْقُ
الفتوحِ ، وَخَفْقُ القَنا والبُنُودْ

وقامَ المكَانُ ، وغَاب الزَّمانُ
وعِشْتُ بروحيَ تلك العُهُودْ

●

– يا خديجة ؛ إني إذا خلوت وحدي

سمعتُ نداءً !!

فقد والله خشيت أَن يكون هذا أَمراً ؟!!

– معاذ الله ، ما كان الله ليفعل بك ؛

فوالله إِنك لتؤدي الأَمانة وتصل الرحم

وتصدق الحديث ...

– جاءَني وأَنا نائم ، بنمطٍ من ديباج ،

فيه كتاب ، فقال : إِقرأ ! فقلت : ما أَقرأ !

رؤيا صدق

فغتني حتى ظننت أَنه الموت ، ثم أَرسلني ،

فقال : إِقرأ ! فقلت : ماذا أَقرأ ؟! – وما

أَقول ذلك إلا افتداءً من أَن يعود إِليَّ بمثل

ما صنع بي – فقال : اقرأْ باسم ربك الذي

خلق ، خلق الانسان من علق ... فقرأْته ،

ثم انتهى .. ثم انصرف عني .. ! وهببت

من نومي ، وكأَنما كَتَبَ في قلبي كتاباً

... « رواية عبد الله بن الزبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم »

يا لروعة الرؤيا ، ورهبة الموقف !!
تحار الحلوم ، وتضعف الجسوم ...

وعمد محمدٌ إلى حالق ، وجعل يعلو الشواهق ....

نداء جبريل

يا خديجة ؛ حتى إذا كنت في وسط الجبل ، سمعت صوتاً من السماء يقول :
ـ يا محمد ، أَنت رسول الله ، وأَنا جبريل ،
فرفعت رأسي إلى السماء فاذا جبريل ...
فوقفت أَنظر إليه ... فما أَتقدم وما أَتأَخر ،
وجعلت أَصرف وجهي عنه في آفاق السماءِ ،
فلا أَنظر في ناحيةٍ منها إلا رأَيته !!

وتابعت عائشة رضي الله عنها روايتها :

... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ؛

فَجَاْهُ المَلَك فقال : إقرأ ! قـال : ما أَنا بقاريءٍ ! فأَخـذني فغطني حتى بلـغ منيَ الجَهْدَ ، ثم أَرسلني فقال : إقرأ ! فقلت : ما أَنا بقاريءٍ ! فأَخذني فغطني الثانية حتى بلغ منيَ الجَهْدَ ، ثم أَرسلني ! فقال : إقرأْ ! فقلت : ما أَنا بقاريء فأَخذني فغطني الثالثة ، حتى بلغ منيَ الجَهْدَ ثم أَرسلني فقال : ﴿إقرأْ باسمِ رَبِّكَ الذي خَلقَ ، خَلقَ الإنسانَ مِنْ عَلقٍ ، إقرأْ وربُّكَ الأَكرمُ الذي علَّم بِالقَلَمِ ، عَلَّم الانسانَ ما لم يَعلَم﴾ ...

اقرأ باسم ربك

ورجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترتجف بوادره .

ـ يا خـديجة ! ! زملوني .. زملوني ، دثروني وصبوا عليّ ماءً بارداً ...

خديجة الرؤوم

يا خـديجة ! ! ما لي ؟ ! لقد خشيت

على نفسي !؟

حنان وتثبيت

وتُقبل خديجة الرؤوم ، تحنو عليه وتشد أَزره :

– كلا أَبشر ، فوالله لا يخزيك الله أَبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتحمل الكَلّ ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق !!

وانطلقت به إلى ابن عمها « ورقة بن نوفل» وقد شاخ وعمي ، وكان نصرانياً عنده علمٌ من الكتاب .

عند ورقة ابن نوفل

– قال : ابن أَخي ! ما ترى ؟! – فأَخبره محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى ! – فأَردف :

– هذا ؛ الناموس (جبريل صاحب

خبر الخير) الذي أُنزل على موسى ... إن أَدركني يومك أَنصرْك نصراً مؤزراً ...

●

إقرأ باسم ربــك .... خمس آياتٍ ، طليعة القرآن ، ولكنها بركة العمر حتى آخر الدهر . وقد فتر بعدها الوحي حتى حزن الرسول حزناً شديداً وتطلَّع ... وتضرّع.

ولنتأَمل معاً ... أول القرآن : « إقرأ ».. و « بالقلم » . القراءة والكتابة والأَساس : « الله » ؛ باسم ربك ، خلق ، وعلَّم .

آيات بينات

والحكمة والنور كل الحدث وأَجواؤه ، من قبل ومن بعد ، آيات بينات لأُلي الأَبصار ، فيتحنث ، يقاطع لغو الحياة ، يتوحد ويتعبد .

وفي النوم غتَّني : غمنَّي وخنقني ، وفي اليقظة غطَّني شدّني إليه وكبسني وعصرني... ! !

تحريك اللاشعور

ففي النوم تحريك لحياة اللاشعور ، مكرور ، ليتفاعل في أَعماق النفس وذراتها الخفية ويُمِدَّها ويُعِدَّها للأَمر الجلل ! وفي اليقظة ، كبسٌ وعصرٌ ، أَولاً وثانياً وثالثاً ؛ استحواذ على الشعور ؛ تركيزٌ للانتباه ، تعميق للأَثر ، صرفٌ عن أَي شيءٍ آخر ، حصرٌ للكيان كله ، في يقظةٍ وترقب ، وانقطاعٍ للأَمر الجلل .

فاستحواذ على الشعور

وجَنان « محمد » ثابت ، لا يُغمى عليه ، ولا يُبدِّل قوله الانساني ما أَنا بقاريء ... ، حتى يأْتي الأَمر الإِلَهي : إِقرأ باسم ربك ، فيقرأ !

جنان ثابت

والتوافق ؛ صِدْق الرؤيا كفلق الصبح :

إرهاصاتٌ للنبوة ...

شدّه جبريل إليه ؛ شدٌّ للعضد ، وتثبيت ...

ملك يضم انسانا

مَلَكٌ يضم إنساناً ، عناقٌ مرموز بين السماء والأَرض ، لقاء بين السفيريـــن الإلٰهيين ، سفيري رب العالمين : عالَم الغيب وعالَم الشهادة ، لتنفيذ أَمر الله الحكيم العليم !

وعلى مراحل ؛ رؤيا ، ثم هاتف ، ثم مواجهة ... تدرُّجٌ ، وإعدادٌ ؛ حكمة الله وإرادته ، أَن يجري كونه الذي خلقه ، وفق قوانين رسمها له ، ودعا عباده إليها ، فهو لا يخالفها بنفسه ، مع قدرته على كل شيء ، ولو شاءَ لجعل ما أَنزل على رسوله ، دفعةً واحدة ، وحباه العزم الكافي للتحمل ، ولكن : من الفطرة ترك الطفرة ! ﴿ قُل

الفطرة ترك الطفرة

سُبحانَ رَبِّي ، هلْ كُنتُ إلاَّ بَشَراً رَسُولاً ﴾ !

وأَن يفتر الوحي ، ثم يعود ، ولو أَحزن النبيّ ـ وهو حبيب إلى ربه ، وهو بأَعينه ـ فذلك تأَكيد بالغٌ في لفت الرسول إلى الرسالة ، ليتطلع إليها ، ويقبل عليها ، في تعبّدٍ وتوجّد ، وتأَلّهٍ وتولّه ؛ وليس البرّ دائماً فيما يسر ، ولكن الأُمور بخواتيمها !

فتور الوحي تأكيد

وتقول خديجة رضي الله عنها : لا تخف مكروهاً ، يا محمد ، وأَنت على ما أَنت من حميد الفعال ، وخصال الخير ، فان مكارم الأَخلاق تقي من مصارع السوء ..

إقرأ باسم ربك ، بقدرته ـ وإن كنت لا تعلم القراءة ـ فالله الذي خلق الانسان كلَّه من علق ، والله الذي علَّم ، قد جعل من طرائق التعلم والتوصل إلى المعرفة ، الفتح

الفتح الرباني

من لدنه ؛ فمن قرأ باسم الله ، قرأ وإن لم يكن بقاريء ! فهو يخلق في سجية عبده الجديرة ، القدرة على القراءة ، وعلى كل شيء ، فهو الأَكرم ، ما من كرم كريم يخطر على قلب بشر ، إلا وربك ، الذي رباك وتعهدك برسالته يا محمد ، هو الأَكرم !

العلم بيان

علَّم بالقلم ؛ والعلم بيان ؛ يكون في الأَذهان ، ويكون في اللسان ويكون بالبنان ، فكراً ، ولفظاً ، وكتابةً ...

ومن بديع خلق الله ، وعظيم سره ؛ أَنه علَّم بالقلم ، وليس القلم بذي روح ، فإما شجر وإما حجر !

الكل بالله

أَمَّا أَنت ، يا محمد «البشر»، فباسم الله تقرأُ ، وبقدرته وسره ؛ وهذا أَولى وأَجلى ، لأَنك خُلقت من علقة ، والعلقة مادّة الدم ،

والدم نُسْغ الحياة !

●

قال ابن عمر : يا رسول الله ؛ أَكتب ما أَسمع منك من الحديث ؟! قال : نعم ، فاكتب فان الله علَّم بالقلم .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : أَول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب ، فكتب ما يكون إلى يوم القيامة ...

قال العلماء : : الأَقلام في الأَصل ثلاثة :

الاقلام ثلاثة

القلم الأَول الذي خلقه الله بيده وأَمره أَن يكتب . وأَقلام الملائكة : ﴿ وإِنَّ عليكُمْ لَحَافِظينَ كِرَاماً كاتِبِين ﴾ . وأَقلام الناس ، يسجلون بها كلامهم ، ويصلون مآربهم .

والكتابة ؛ عينٌ من العيون ، يبصر بها الشاهد الغائب ، والخطُّ ، آثار يده ، وفيه

تعبير عن الضمير ، بما لا ينطق به اللسان ، فهو أبلغ .

الكتابة جنان مسجل

قال بعضهم : الكلام ، ريح لا تبقى ، وقَيْدُه ، الكتابة ! قلت : بل هي أنفاسٌ مرددة ، والبيان للانسان ، كيانه المرسل ، والكتابة ، جَنانه المسجَّل .

علَّم الانسان ما لم يعلم ؛ خلقه من علق ... وجعله في الأَرض خليفة ... واستعمره فيها ... وعلَّم آدم الأَسماءَ كلها ...

زيادة العلم بالعمل

وفي الأثر ، إذا عمل الانسان بما يعلم ، ورّثه الله عِلْمَ ما لم يكن يعلم .

●

الحدث الاعظم

في « غار حراء » ، تم الحدث الأَعظم ! الحدث الأَعظم في الأَرض ، منذ كانت الأَرض ، وفي تاريخ الانسان ، منذ كان الانسان ... !

فُرقانٌ في حياة البشرية كلها ، لا في حياة أُمةٍ ولا جيل ! تحوُّلٌ في خط الضمير الانساني : لم يكن من قبل ولا من بعد ! قامت المعالم واضحةً عالية ، لا يطمسها الزمان ولا الحدثان ؛ تخطيط إلٓهي ، ومنهج رباني ...﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ ، هوَ الهُدَى ﴾ ...

عزلتان :

يتراءى لي ، أَننا لو درسنا بعمقٍ ، وضع العرب في تلك الحقبة ، وانعزالهم في الجزيرة الجافية ، والطبيعة الصافية ، بعيداً عن المدنية المترفة الهلوك ، في امبراطورتي الأَكاسرة والقياصرة . ودرسنا توحّد محمد عليه الصلاة والسلام في الغار ، لوجدنا توحده ذاك تـألَقاً في جو تلك البيئة ، ولساغ أَن تشبّه عزلة العرب عن محيط العالم الفاسد ، بعزلة محمدٍ عن انحرافات قومه ،

الرسول في حراء

منقطعاً في شظفٍ وزهد ، إلى التفكُّر والتدبّر ، وهو في غار حراء ، بين الأَرض والسماء !

قاعدةٌ ، وذروة ؛ فكما كانت عزلته المعطاء ، تصفِّي روحه ، وتعدُّ نفسه للحدث الإلٰهي الإِنساني الهائل ؛ فقد كانت تلك العزلة الصحراوية للعرب في جزيرتهم ، حفاظ خصائصهم وادّخار معدن رجولتهم ، ليكونوا بعدُ ، بالاسلام ، شعلة الهداية ، وطليعة الفتح ، والكاهل القوي الذي سيحمل العبءَ العظيم ، والله أَعلم حيث يجعل رسالته : ﴿ وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لكَ ولِقومِكَ وسوفَ تُسْأَلُون ﴾ ...

والعرب في الصحراء

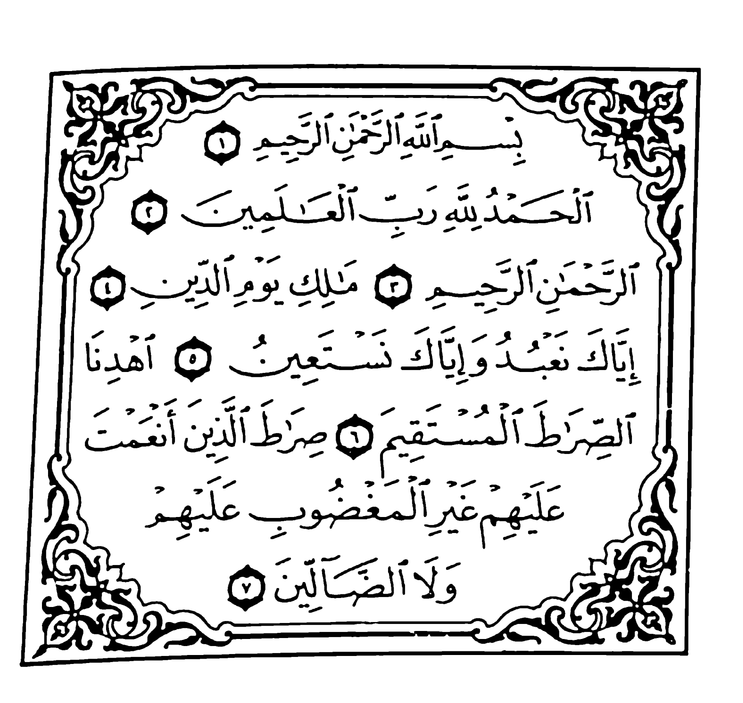
صلى الله عليك وسلم ، وصلينا وسلمنا تسليماً ، أَيها النبي العربي ، يا رسول الله

بالاسلام ، « بالاسلام القِمَّة » يا رحمةً للعالمين ... وخاتم النبيين ...

وتحيةً « غار حراء » فبمحمدٍ - معلم الخير - أضاءَ المنار ... خالداً لا ينطفيءُ ... ومن « الغار » كانت إشراقة الصباح الأَول الأَغر ... إنسان فريد ... وقرآن مجيد ...

﴿إنَّا أَنْزَلناهُ في لَيلةِ القَدْرِ ، وما أَدراكَ ما ليلةُ القَدرِ ، ليلةُ القَدْرِ خَيرٌ مِنْ أَلفِ شَهرٍ﴾ .. هداية من الله حتى آخر الدهر ...

أمّ الكِتَابُ


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ ٱهْدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

أمّ الكِتَاب

كان الموقد يتربع زاوية الغرفة ، مفتوح الحِضْن نحونا ، وكنّا من حوله نصف قوس ، نتأمل تبارُق أَلسنة اللهيب في جوفه ، تتصاعد من أَغصان العفص ، تمتد بها أَيدينا مرّة بعد مرّة ، فتقضقض ويَهُجّ منها شرار ، وهي تنشر بيننا أَريجاً بهيجاً .

تأمل واشراق

إنها ليلة النصف من شعبان ، وقد انتهينا لتوِّنا من الصلاة والدعاء ، فشملت

قلوبنا إشراقة رضا ، وطُمأنينة إسلام .
وفي نفوسنا سهوةٌ شَرود ، تُلِمُّ بها ذكريات
وشجون : شطر الأُسرة بعيدٌ في « حلب » ،
وشطرٌ عزيزٌ طواه الردى ؛ .. تأَمل حزين ،
تأوُّهٌ وحنين ...

ـ قال لي : ما هي « أُمّ الكتاب » يا
بابا ؟!

ـ وقد مرّ بنا في الدعاء : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ ما
يشاءُ ويثْبت وعنده أُمُّ الكتاب ... ﴾

ـ قلت : الذي أَذكره ، أَنها « الفاتحة »
وأَن هناك من يقول : إنها « اللوح المحفوظ »
ولعلها ما قدّره الله سبحانه في علمه ، من
أَقدار كل شيء .

أم الكتاب

ـ قال أَخوه : وما التحقيق ؟!

ـ فقلت : نسأَل وننظر :

... وأجابني صديقي بالهاتف ، بعد دقائق من بحث : نحن نقرأ : يمحو الله ما يشاءُ ويُثَبِّتُ - وهي قراءة « ورش » ، و « أم الكتاب » على ما ذكره « القرطبي » : « الحمد » فاتحة الكتاب ، وعَدَّدَ لها اثني عشر اسماً ، وذلك على خلاف « ابن سيرين » فهي عنده : أَصل ما كُتب من الآجال وغيرها ؛ وقيل : « أم الكتاب » « اللوح المحفوظ » الذي لا يتبدل ولا يتغير . وسئل عنها « ابن عباس » فقال : عِلْمُ الله ما هو خالق ؛ وما خَلْقُه عاملون ... وقال الحسن - كما رواه ابن « كثير » - : الآيات المحكمات ، هُنَّ أُم الكتاب .

عند القرطبي وابن سيرين

ابن عباس والحسن

- وقلت لولديّ - وقد طلبا مزيداً من البيان - : أبحث وأُحدّثكم إن شاءَ الله ؛ وليس

ما يمنع في ظني ، أَن يُراد « بأُم الكتاب »
ما ذكر جميعاً ، ولا تعارض بين ذلك ،
فلكل تعبيرٍ في محله ، معناه ودلالته .

وقمنا للطعام ... وخيالي معهـا في
« الشهباء » ، يمزج أَنفاسي بزفرة شوقٍ
وافتقاد ... أَلا ما أَحوجني اليها الآن ؟ وكم
كانت لي معها خلوات ؟ ... أَمد إليها يدي ،
وهي ملءُ عينيّ ، كأَنها تقبل عليّ ،
وتعاطيني منها ما أَشاءُ ... أَمسُّ صدرها ،
فتفتح ثغرها ، فأَرشف وأَرشف ... إنها
مكتبتي هناك فى حلب ، فيها ما لذّ ،
وما عزّ ... وما دسم ، وما ابتسم ، نماء
وامتداد ، من الأَجداد إلى الأَحفاد ...

●

وعدت إليهما بالحديث :

مقام الفاتحة

« الحمد لله رب العالمين » أُمّ القرآن ، وأُم الكتاب ، والسبع المثاني ، والقرآن العظيم . والذي نفسي بيده ، ما أَنزل الله في التوراة ، ولا في الانجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلها ... هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتساءلا : أَلا تستطيع أَن تقرّب إلى أذهاننا بعض معاني « أُم القرآن » ، فاننا نرددها دون سواها . في كل ركعةٍ من ركع الصلاة ؟

لا صلاة بدونها

قلت : حقاً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

ورحتُ أَنظر في التفاسير . استزيد منها واستفيد :

سأَل عمر رضي الله عنه : قد علمنا سبحان الله ، ولا إلّه إلاّ الله ، فما « الحمد لله » ؟

فأَجاب عليٌ كرّم الله وجهه : كلمة رضيها الله لنفسه ، وأَحب أَن تقال .

وقال الضحَّاك : « الحمد لله » رداءُ الرحمن . وعن الرسول صلى الله عليه وسلم : (لو أَن الدنيا بحذافيرها في يد رجلٍ من أُمتي ، ثم قال الحمد لله ، لكان « الحمد لله » أَفضل من ذلك) ! وقد قال : « أَفضل الذكر لا إلّه إلا الله ، وأَفضل الدعاء ، الحمد لله » . كما روي عنه عليه الصلاة والسلام : « إذا قلتَ : الحمد لله رب العالمين ؛ فقد شكرت الله ، فزادك » .

الحمد لله أفضل الدعاء

أَلا رحم الله « ابن كثير » ما أَجل تفسيره !

مقالة بجزي بها الله

وفي سنن « ابن ماجة » عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم : أن عبداً من عباد الله قال : « يا ربي ، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك » ، فعضلت بالملكين ، فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا إلى الله فقالا : يا ربنا إنَّ عبداً قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها ؟ قال الله ، وهو أعلم بما قال عبده : ماذا قال عبدي ؟ قالا : يا رب إنه قال : « لك الحمد يا ربي كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك » فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدي ، حتى يلقاني فأجزيه بها .

وفي « المنار »: الربّ السيد المربي الذي يسوس مسوده ويربيه ويدبره ، والعالمين

الرب مدبر الكائنات

الكائنات الممكنة ، وما جمعت العرب لفظ « العالم » هذا الجمع إلا لنكتةٍ تلاحظها فيه ؛ هي أنه لا يطلق على كل كائنٍ وموجودٍ ، كالحجر والتراب ، إنما على كل جملةٍ متمايزةٍ ، لأفرادها صفاتٌ تقرّبها من العاقل ، الذي جمعت جمعه ، إن لم تكن منه ، فيقال : عالَم الانسان ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات ؛ ونحن نرى أن هذه الأشياء هي التي يظهر فيها معنى التربية ، الذي يعطيه لفظ « رب » لأن فيها مبدأها ، وهو الحياة والتغذي والتوالد ، وهذا ظاهرٌ في الحيوان ، وكان السيد جمال الدين

الحيوان شجرة تمشي

الأفغاني يقول : الحيوان شجرةٌ قطعت رجلها من الأرض ، فهي تمشي ، والشجرة حيوان ساخت رجلاه في الأرض ، فهو قائم في

مكانه يأكل ويشرب ، وإن كان لا ينام !

قال ابني : ألا يذكّرنا هذا القول ببديع خلق الله في « الاسفنج » ؛ ثابت الجذور في البحر ، إذا اقتلعه إنسانٌ سال له دم ؛ يتنفس ويتكاثر ، ويعيش على نحوٍ مزيجٍ بين الحيوان والنبات ؟!

رب العالمين

وتابعت حديثي : والسيد محمد رشيد رضا يقول : المراد بالعالمين ، أهل العلم والإدراك من الملائكة والإنس والجن ! على أن هناك من يراها تشمل خلق الله جميعاً ، أخذاً من الآية القرآنية : ﴿ قال فرعونُ : وما رَبُّ العالَمين ؟! قال : ربُّ السماواتِ والأَرضِ وما بينَهما إن كنتم مُوقِنين !﴾

ويتراءى لي أن بالإمكان أن يقال إن العالمين هي : عوالم الغيب وعوالم الشهادة .

والرحمن من أَسماءِ الله الحسنى التي اختص بها ، وقد يقال للانسان رحيم ، ولا يقال رحمن .

رحيم الدنيا ورحمن الآخرة

ويتراءى لي أَيضاً أَن بالإِمكان أَن يقال : إن الرحمانية من صفات الله جل جلاله في رحمته في عالم الغيب ، يوم القيامة والحساب ... والرحيمية من صفات الله سبحانه في رحمته بعباده في عالم الشهادة ، في الحياة الدنيا . يقول تعالى في الاولى : ﴿ يومَ يقومُ الرُّوحُ والملائكةُ صَفاً لا يتكلَّمونَ ، إلاَّ من أَذِنَ له الرحمنُ وقال صَوابا ﴾ ، ويقول في الثانية :﴿نَبِيءْ عِبادِي أَني أَنا الغَفُورُ الرحيمُ﴾ .

ورحمة الله تبارك وتعالى ، على أَية حال ، كما حَدَّث عنها جلَّت قدرته ، قد ﴿ وسعت كل شيءٍ ﴾ .

مالك وملك يوم الدين

و « **يوم الدين** » ، يوم الحساب ، والله مالكه وملكه ، قطع عن خلقه فيه ، ما كان لهم في الحياة الدنيا - بأمره - من حول وطول . يقول الله سبحانه : ﴿لِمَنِ المُلكُ اليومَ ؟ للهِ الواحدِ القَهَّارِ﴾ . وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقبض الله الأرض ، ويطوي السماء ، بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون ؟

- **قال ابني** : ﴿ إياكَ نَعْبُدُ ، وإياكَ نَستعينُ﴾ واضح لا يحتاج إلى شرح .

- **قلت** : بل في التدبر تتضح لأُلي الأبصار آفاق من المعاني كثيرة ، حتى ان « ابن القَيِّم » رحمه الله سمَّى أَحد كتبه المشهورة : « مدارج السالكين بين منازل

إياك
نعبد
تبرؤ
من
الشرك

إياك نعبد وإياك نستعين » .. والذي يهمني أَن ألفت النظر إليه ، صيغة « إيّاك » التي تتقدم الفعل ، فهي تفيد هنـــا معنى التخصيص ، بمعنى لا نعبد إلاَّك ، فهي تبرؤٌ من الشرك ، ولا نستعين إلاَّ بك ، فهي تبرؤٌ من أَي حول وقوة .

إياك
نستعين
تبرؤ
من
القوة

ـ قـــال أَخوه : ولماذا يجعل القارىءُ لنفسه صيغة الجمع ، فيقول : نعبد ونستعين ، وليس أَعبد وأَستعين ؟! والمقام لا يناسبه تعظيم النفس ، بل التذلل لله ؟!

ـ فـــأجبته : إنه لسؤال جدير ؛ ومع أَن بعض المفسرين يرى أَن العبد بوقفته بين يدي ربه ، وتجرده له في عبادته والاستعانة به ، يعظم قدره ، فيستحق صيغة التعظيم ؛ فإنه يتراءى لي ، أَن لذلك مغزى أَبلغ وأَحكم :

صيغة الجمع لمعنى التضامن

إنه إشارة إلى تضامن المسلمين المؤمنين العابدين ، واتحاد قلوبهم في قلبٍ واحد ، واستحالة كيانهم إلى كيانٍ واحد ، بحيث لا يجد الفرد منهم نفسه إلا مع مجموعته ، فيتحدث كلٌ في قراءته وعبادته ، عن حال تلك المجموعة ، ورجائها ودعائها : إيّاك نعبد ، وإيّاك نستعين .

وثمة معنى أدق وأرق : إن العبد لا يرى نفسه ، وهو يعلم منها عيوبها وذنوبها في مقام جدارة القبول والمثول بين يدي الله ، فهو يضيف عمله وعبادته ، إلى مجموعة المؤمنين المسلمين العابدين ، وفيهم الأبرار الأتقياءُ ، والأخيار الأولياءُ ، ليُقبل معهم جملةً . وقد يكون من اللطائف استشهاد بعضهم هنا ، بما في أحكام البيع : فإن

المبيع إذا كان معيباً في بعض أجزائه ، فالمشتري بالخيار ، يرده جميعاً ، أَو يقبله جميعاً ؛ والله قد اشترى من المؤمنين أَنفسهم ... ورحمته الواسعة ، تسمو عن رفض عبادتهم وعملهم كافة ، لخللٍ ونقصٍ يكونان من بعض أَفرادهم ؛ فهو يقبلها ويقبلهم جميعاً ، ولا يرفضها ويرفضهم جميعاً !

و ﴿ إِهْدِنا الصِراطَ المُسْتَقيم ﴾ واضح أَيضاً ، على أَن فيه مجالات قولٍ كثيرة :

مراتب الهداية

فهداية رب العالمين للعالمين مراتب : هداية الفطرة ، وهداية الغريزة ، وهداية العقل ، وهداية الفتح . ولكلٍ أَمثلة وشروح لا يتسع لها المجال .

ومثل الهدايات الإِلٰهية ، على ما ذكره

تفسير المنار ، كمثل البذرة والشجرة العظيمة فهي في بدايتها « مادة حياة » تحوي على جميع أُصولها ، ثم تنمو بالتدريج ، حتى تسمو فروعها ، بعد أن تعظم دوحتها ، ثم تجود بثمرها . والفاتحة مشتملة على مجمل ما في القرآن ، وكل ما فيه تفصيل للأُصول التي وضعت فيها . وكأَنه يريد أَن يقول إنها بذرة الهداية الالهية .

الصراط المستقيم هو الحق

و « **الصراط** » هو الطريق الواضح ، وعن مجاهد : أَن الصراط المستقيم هو الحق .

ـ **وأنت يا بنيّ** ؛ ما هو تعريف المستقيم فيما تحفظ ؟

ـ **قال** : في الهندسة : هو أَقصر خط يصل بين نقطتين .

ـ **قلت** : فالصراط المستقيم ، هو الذي

اقصر طريق الى الفلاح

لا اعوجاج فيه ، ويوصل بين نقطتي الحياة والنجاة ، بأَقصر مسافةٍ ، وأَدنى مشقةٍ ، وأَقل زمنٍ ؛ إنه الطريق إلى الله ، كما رسمه هو لعباده . فاذا لاح لهم ابتداع طريقٍ سواه ، اختلفت في ذلك مذاهبهم ومسالكهم ، لاختلاف الأَمزجة والأَذواق ووجهات النظر ، وقد يتشتت أَمرهم ، جماعة وفرادى ، فتطول المسافة ، وتكثر المشقة ، ويزداد الزمن ، ومن يدري بعد ذلك ، يصلون أَم لا يصلون ...؟! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ضرب الله مثلا ، صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سوران ، فيهما أَبواب مفتحة ، وعلى الأَبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول : يا أَيها الناس ، ادخلوا الصراط جميعاً ،

واعظ الله في قلب المسلم

ولا تَعْوَجُّوا ! وداعٍ يدعو من فوق الصراط ، فاذا أَراد الانسان أَن يفتح شيئاً من تلك الأَبواب (أَي من ستورها المرخاة) قال : ويحك لا تفتحه ، فانك إِن تفتحه تلجه ؛ فالصراط الإِسلام ، والسوران حدود الله ، والأَبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعي على رأْس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » .

﴿ صِراطَ الذينَ أَنْعَمَتَ عليهم ﴾ .

ــ قال : كيف نرجو اتباع صراط من تقدمنا ، وعندنا شرعٌ لم يكن عندهم ، لا أَكمل ولا أَشمل ، يصلح لزماننا وما بعده ؟!

دين الله واحد

ــ قلت يا ولدي ، الصراط هو الاسلام ، والاسلام دين الله ، وهدى الانسانية ،

وما بعث به الأنبياء والمرسلون ، منذ خلق الله البشر ، إلى أن تقوم الساعة . ودين الله في جميع الأمم حقيقته واحدة ﴿ إنَّ الدينَ عِندَ اللهِ الاسلام ﴾ فكل نبي بعث بالاسلام غير أَن الشرائع تختلف . وشريعتنا المحمدية هي

الاسلام القمة

« الاسلام القِمَّة » ، فيها الأَصل الأَصيل ، وفيها الصقل الأَخير ، لقواعد الانطلاق الانساني في سبيل الخير ، تدعو إلى الله على بصيرة ؛ والبصيرة تقتضي النظر السديد ، في الزمان والمكان ، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرأً عرف زمانه واستقامت طريقته » . فالذين أَنعم الله عليهم من قبل ، وينعم عليهم من بعد ، وندعوه أَن ينعم علينا معهم ، أسرةٌ في الخير

أسرة الخير والأيمان

واحدة ، صراطها واحد تهتدي بهدى الله

الفذّ ، ذرية إيمان بعضها من بعض ، شجرة مباركة ، أَصلها ثابت وفرعها في السماء ...

وضممت ولديّ إليّ ، وبسطنا أَيدينا بالدعاء : اللهم ربنا ورب العالمين ... إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أَنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين..

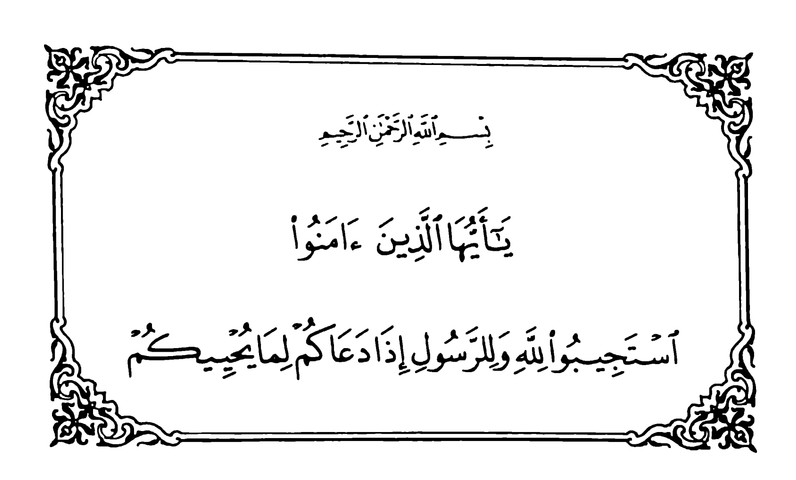
ورددا معي : آمين .. ثم تساءلا : وما معنى آمين ؟

ـ قلت : اللهم استجب لنا ، ولا تخيب رجاءَنا ، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم أَنه قال : آمين خاتم رب العالمين ، على عباده المؤمنين .

امين خاتم رب العالمين

●

الإسلام والحياة


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

الإسلام والحياة

كان ذلك قبل أعوامٍ ثلاثة :

الثلج يكسو باريس بحلةٍ بيضاءَ مغبرة . والبرد تصطك منه نأمات الحياة ، وتلسع سياطه الناس في الشوارع فيجرون جرياً ...

تعشينا الهوينا في دار صديقٍ . ثم جلسنا حول الموقد ، نستلذ أريج القهوة . ونحن نتجاذب شجون السياسة ولطائف الدعابة والشعر ...

لم ننتبه للوقت يتسرب ، فقد طوى ترسلنا الأخوي ساعات الليل، فبانت أقصر مما كانت ..! وفجأةً ، أخذت تشق عنان السماء ، مزامير سيارات ، في تزايد مستمر.. إنها ليلة رأس السنة الميلادية ، وقد قاربت الانتصاف !

ليلة رأس السنة

وخرجنا ... نشد معاطفنا بقوةٍ . على ما اكتنزناه من دفءٍ ، كأننا نخاف أن تسترقه منا لفحات شتاء باريس القارص ... ولم نستطع أن نمشي طويلاً : فقد كانت السيارات تملأ مدّ النظر ، وتتشعب من الساحات العامة . في المنعطفات ، وكأنها قطعان ذئابٍ في فلاة ، أضرّ بها الجوع والصقيع . فأخذت ترسل في الفضاء عواءً مجنوناً !!

في باريس

واستطعنا بعد جهد ، أن نصل إلى

مقهى كبير في ساحة « الحقول المتعاشقة » ـ « الشانزدليزه » ، وأن نأْخذ أماكننا محشورين بين الناس قبل أن تُطفأَ الأَنوار بدقيقتين .

في الظلام ... ترامت إلى سمعي تمتمات عربية ، في قلب الغوغاء المشوشة ، والقهقهات السكرى الشرود !!

تبينت بين جيراني ، مصدر التمتمات . في الأَضواء التي فجأَتْ عيون الناس المحمرّة . فقابلوها بصياحٍ هائج ، رجّ المقهى من جديد ، بعد أَن كانت السيارات قد أَصمتت منذ قليل .

صخب وعرب

أَربعة ، أَخذوا يتحدثون بالعربية ، بصوت مرتفع :

ـ ما أَجمل هذا الصخب في باريس ، إنها وقدة الحياة ، يا لبلادة الفراغ في أَوطاننا ،

إنهم الآن يغطون في سبات عميق !

ـ طبعاً ، موتى ، في أكفان التقاليد البالية .

ـ قال الثالث مغيظاً : وماذا أيضاً ؟!

فأجاب رابعهم : لا تغضب يا « عمّار » ، إنه « أفيون الشعوب » ؛ الدين الذي ما زلنا نعيش في أسره !!

وكنا نتحدث بالعربية أيضاً ، وتبين جيراننا ذلك ، فكانت فترة ؛ وتلاقت العيون ؛ ومالت الرؤوس ، تلقائياً ، بالتحية .

إنهم طلاب من كليات عدّة . وأقطار مختلفة . ومشارب شتّى . جمعتهم وحدة الدين واللغة ـ دون أن يقدّروا ذلك ـ لتخرج بهم من ضيق الغربة إلى سعة السمر المشترك .

« وقال عمار » : فلنجمع طاولتينا ،
ونتحلق لنشترك في الحديث - إذا شئتم -
وقرأت في نفسه شعوراً مزيجاً من العزم
والأَمل ... العزم على أن يتابع معركته
الفكرية ولو منفرداً ، تجاه عدد أكبر من
المجادلين ! والأَمل في أَن يجد بيننا من يشد
أَزره .

قال : ما رأيكم في الدين ، وفي الاسلام
خاصة ؟ أَحقاً هو « أَفيون الشعوب » كما
يراه الزملاء ؟! وهل يعجبكم ما نحن فيه
من هرجٍ ومرج ، يسمونه الحياة ،
ويتغنون به ؟!

وأَكرم الشباب أَعمارنا ، فسكتوا
يترقبون الجواب ؟!

- قال صديقي : هذا ضجيج هادر ،

وحركةٌ دائبة !

— **بادر « عمّار » :** ضجيج هادر مهدور ، وحركة دائبة ذائبة !!! أَين هي حصيلة الخير التي تجنيها الانسانية من هذا الصخب والعربدة ؟!

— **صاح رفاقه :** لا تستعجل يا عمّار ، محاولاً التأْثير على الأَساتذة ، لتجعلهم أَنصارك في الرأْي !!

— **تـابع صديقي :** كلا ، فأَنا مع السيد « عمّار » بأَن هذا ليس هو الحياة الحق ! ولنقل بالتخصيص ، إِنه ليس بالحياة كما يفهمها الاسلام .

افيون الشعوب

وتمم أَحـد الطـلبة : وهل في الاسلام حياة ؟! أَو في أَي دينٍ آخر ؟! إِنها التواكل والخضوع للقضاء والقدر ، وعيش القرون

الخوالي ، على البدائيّة الأُولى ! أَجل« أفيون الشعوب » !

ـ قلت : تعددت مواضيعكم ! الحياة ، الاسلام ، أي دين آخر ، التواكل ، القضاء والقدر ، التقاليد والبدائية ... ، هذه عناوين ، لكلٍ موضوعه ومجالات بحثه فاختاروا أَحدها للمناقشة .

تداخلت الاجابات والتعليقات ،واستقر الرأْي : فلنتحدث عن الحياة . قال عمار : بل عن الاسلام والحياة .

سكوت ... قلت : حسناً . تحدّث يا عمار .

فابتدرنا رفاقه : سمعنا حديثه مراراً ، نريد أَن نسمع منكم !

كانت أَفواج متلاحقة من الرواد تزحم

المقهى أَكثر فأَكثر ، فتزيد جوّه اختناقاً ،
وتملأُ ضوضاءه دخاناً ...

واقترح صديقي : بيتي ، على مقربة مئة متر ،
فهيا إليه ، حيث تسكن أَسماعنا للحديث ،
وقد جدّ ، ونستطيع الاصغاءَ والبحث .

قلت ،ونحن نسير : الإِسلام والحياة ،
موضوع يحتاج إلى مؤلف ، فللحياة
مفاهيم واسعة ، وقد تحدث عنها
القرآن في أَكثر من خمسين سورة ، وأَذكر
أَن لفظة الحياة ومشتقاتها وردت في كتاب
الله أَكثر من مئة وستين مرة ! ومن أَسماء
الله الحسنى « الحي » وكل هذا دليل على
عناية الاسلام الفائقة بالحياة .

الحياة في القرآن

وجلسنا ؛ والحديث يدور ...سأَلوني في أَي
المقاصد والمعاني ، استعملت الحياة فيالقرآن؟ !

قلت : بالتأمل السريع ، يمكن أن نرد ذلك إلى ثماني أُمهات :

أولها : ما يتعلق بالذات الإلٓهية :

﴿ اللهُ لا إلٓه إلاَّ هوَ الحَيُّ القَيُّومُ ، لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ ﴾

في الذات الالهية

﴿وَعَنَتِ الوجوهُ للحيِّ القيومِ ، وقد خابَ من حَمَلَ ظُلما ﴾

﴿وتَوكَّلْ على الحيِّ الذي لا يَموتُ ﴾

﴿هوَ الحيُّ ، لا إلٓه إلاَّ هوَ ، فادْعوهُ مُخْلِصينَ له الدينَ ﴾

وثانيها : وهو اشتقاق من الأَول ، ما جاءَ في مجالات الاعتبار بالقدرة والعمل الإلٓهيين :

﴿ وهوَ الذي يُحْيِي ويُميتُ ، وله

اختلافُ الليلِ والنهار ﴾

في مجالات الاعتبار

﴿ أليسَ ذلكَ بقادرٍ على أَنْ يُحْيِيَ الموتى ﴾

﴿ وضرَبَ لنا مثلاً ونسِيَ خَلْقَهُ ، قال منْ يحيي العِظامَ وهي رَمِيمٌ ؟! قُلْ يُحييها الذي أَنشأَها أَولَ مرةٍ ، وهو بكلِ خَلقٍ عليمٌ ﴾

وثالثهما : في الحياة ؛ أَصلاً ، وانبعاثاً ، ومصيراً ...

﴿ وجَعَلْنَا من الماءِ كلَّ شيءٍ حيٍّ ﴾ ..

في الحياة أصلا

﴿ ويُنَزِّلُ من السماءِ ماءً ، فيُحيي به الأَرضَ بعد موتها ﴾

﴿ وإنَّ الدارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لو كانوا يَعْلَمُون ﴾...

ورابعها : وقد يكون اشتقاقاً من سابقه

أَيضاً ، ما يتعلق بالطبيعة في أَطوارهــا وانتشارها :

في الطبيعة

﴿يُخرِجُ الحيَّ من المَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الميتَ من الحي ... ﴾

﴿ فانظرْ إلى آثارِ رَحمةِ الله ، كيف يُحْيِي الأَرضَ بعد موتها ﴾

وخامسها : في مجالات ضرب المثل وتقرير الحكمة :

في مضارب الامثال

﴿وما يَسْتَوِي الأَحْياءُ ولا الأَمواتُ﴾

﴿ أَلَمْ نجعلِ الأَرضَ كِفَاتاً ، أَحْيَاءً وأَمْوَاتاً ﴾

﴿ ولَكُمْ في القِصَاصِ حَيَاةٌ يا أُلي لالبابِ لَعلَّكم تَتَّقُونَ﴾

كانوا يصغون إلى آيات الله ، أسرد بعضها في تذكرٍ ، وأناة ، لا أتقصاها ، ولا أُسلسلها ولا أُعلق عليها بأَي شرح .

ـ **قال أحدهم** ، ومـاذا عن الانسان والحياة ؟ !

الانسان والحياة

ـ **قلت** : من ذلك فيما سلف قسط ، وقد بحث القرآن تفصيل ذلك في الثلاثة الباقية :

فأولاً : تقلب المرء بين الموت والحياة في الدنيا والآخرة على أطوار ، تقريراً للحق ، وحكاية للمعتقدات ، وبياناً لأَحوال الناس ، عيشاً وثواباً وعقاباً :

﴿ ومَا الحياةُ الدنيا إلا لَعِبٌ ولهوٌ ،

وللدارُ الآخِرةُ خيرٌ للذين يَتَّقُونَ ، أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾

اطوار الحياة

﴿ فيها تَحْيَوْنَ ، وفيها تَمُوتُونَ ، ومنها تُخْرَجونَ ﴾

﴿ وقالوا : مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾

﴿ اللهُ الذي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾

﴿ الذين يَسْتَحِبُّونَ الحياةَ الدُّنيا على الآخِرةِ ويَصُدُّونَ عن سبيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ، أُولئكَ في ضَلاَلٍ بَعيدٍ ﴾

﴿ ويَومَ يُعرَضُ الذين كفَروا على النارِ ، أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُم في حَيَاتِكُمُ الدُّنيا وٱسْتَمْتَعْتُمْ بها فاليومَ تُجزَونَ عَذابَ الهَوْنِ بما كُنتمْ تَسْتَكبِرون في الأَرضِ بغير الحقِّ وبما كنتم تَفْسُقُون ﴾

ثانياً : وهو ركنٌ في بحثنا ، حقيقة الحياة الدنيا ، وهداية البشر فيها ، ومدُّ نظرهم إلى الحياة الآخرة ، سعياً ، ورجاءً وجزاءً :

حقيقة الحياة الدنيا

﴿ إعْلَمُوا أَنَّما الحياةُ الدنيا لَعِبٌ ، ولَهْوٌ ، وزِينَةٌ ، وتَفَاخُرٌ بينَكم ، وَتَكَاثُرٌ في الأَمْوَالِ والأَوْلادِ ﴾ .

﴿ إنَّما مَثَلُ الحَياةِ الدُّنيا كماءٍ أَنْزلناهُ من السماءِ فاخْتَلَط به نباتُ الأَرضِ مِمَّا يأْكلُ الناسُ والأَنعامُ ، حتى إذا أَخَذَتِ الأَرضُ زُخْرُفَـها وازَّيَنَتْ وظَنَّ أَهْلُها أَنَّهم قادِرُون عليها أَتَاها أَمرُنا لَيْلاً أَو نَهاراً ، فجعَلَها حَصِيداً كَأَنْ لمْ تَغْنَ بالأَمسِ كذلك نُفَصِّلُ الآياتِ لِقومٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

﴿ زُيِّنَ لِلَّذينَ كَفَرُوا الحَياةُ الدنيا ،

وَيَسْخَرُونَ من الذين آمنوا . والَّذِين اتَّقَوْا فَوْقَهم يومَ القِيَامَةِ ﴾ .

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ من شيءٍ ، فَمَتَاعُ الحياةِ الدنيا ، وما عندَ اللهِ خيرٌ وأَبْقَى للذين آمنوا وعلى ربِّهم يَتَوَكَّلُونَ﴾

﴿ ولا تَمُدَنَّ عَيْنَيكَ إلى ما مَتَّعْنا به أَزواجاً منهم زَهْرَةَ الحياةِ الدَّنيا ، لِنَفْتِنَهُمْ فيه ، ورِزْقُ رَبِّكَ خيرٌ وأَبْقَى﴾

﴿يَا أَيُّها الذين آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وللرسولِ إِذا دَعَاكُم لما يُحْيِيكُمْ﴾ .

ثالثاً وأخيراً : في أَولئك الذين يلقون وجه الله وهم يجاهدون في سبيله ، استجابةً لأَمره : وهو ما يتعلق بحياة الشهداء :

حياة الشهداء

﴿ ولَاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلْ في سبيلِ اللهِ أَمْواتٌ ، بل أَحياءٌ ولكنْ لا تَشْعُرُونَ﴾

﴿ولا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا في سبيلِ اللهِ أَمْوَاتاً ، بلْ أَحياءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ...

الاسلام هو الحياة

– **قلت للإخوة الطلاب** : هذا وسواه كثير ، مما وردت فيه « الحياة » بلفظها أَو مشتقاتها خلال آيات القرآن الكريم ، أَما معانيها ومرادفاتها ومدلولاتها ، فتكاد تكون في القرآن جميعاً ، حتى ان الانسان ليقول : الإسلام هو الحياة ، والحياة هي الإسلام ...

– **علق أحد الطلاب** : آيات مرّت بنا جميعاً ، نتلوها للتبرك ، ونستمعها للتلذذ ! ولكنها بالنسبة إليّ ، هي المرة الأُولى التي أَنظر فيها مجتمعة ، بتفكرٍ وتدبرٍ وتصنيفٍ ، وانها لتُلقي على حيرتي في الحياة كثيراً من الأَضواء .

– **وسأله «عمّار»** : متى كان آخر عهدك

بالقرآن ؟!

ـ قال : تلاوةً ، منذ أَربع سنوات في آخر رمضان أَمضيته في الوطن ! أَما استماعاً فأَحياناً في الإِذاعات !

ـ وأَردف رفيقه في تذكر وخجل : إِنها سبعة أَعوام لم أَقرأْ خلالها القرآن !

ـ علق عمّار : سبعٌ عجاف ، لا بركة فيها . يا ويحنا ! إِن الرسول عليه الصلاة والسلام ليشكونا إلى ربه بلسان الوحي : « يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذا القُرآنَ مَهْجُوراً » ... ودمعت أَعينٌ في تحسرٍ وندم .

ـ أيها الأصدقاء ، قلت : ليس الغرض من القرآن مجرد التلاوة والاستماع ...

ـ قال : بل الادراك والتفهم ...

ـ لا وليس هذا فحسب ! عن أَبي وائل

عن ابن مسعود قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آياتٍ لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن . وقال أَبو عبد الرحمن : حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا ، أَنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا تعلموا عشر آياتٍ لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً .

نظرتُ إلى الساعة ، فقام صديقي إلى مكتبته وعاد بكتاب ، قال : تعالوا نختم جلستنا في ظلال القرآن مع (سيد قطب) ، وناول عماراً الكتاب فأَخذ يقرأُ باعتزاز من أَعماق قلبه :

﴿ يا أَيُّها الذين آمَنوا اسْتَجِيبُوا للهِ وللرَسولِ إذَا دَعاكُمْ لما يُحْيِيْكُمْ ﴾ .

إن الإستجابة لله وللرسول ، إنما هي استجابة لدواعي الحياة ، فالرسول لا يدعو الناس ، إلى الايمان بالله والعمل بشريعته تحكماً فيهم ، ولا استعباداً لهم . إنما هو يدعوهم إلى الحياة بكل معنى من معاني الحياة .

يدعوهم إلى عقيدةٍ تحيي القلوب ، والعقول ، وتطلقها من أوهاق الجهل والخرافة ومن ضغط الأوهام والأساطير ، ومن رق التقاليد وجمود التقاليد .

ويدعوهم إلى شريعةٍ تحيي الأفراد ــ والجماعات ، وتهيىء للجميع حياةً كريمةً متكاملةً عادلة ، يأمن فيها كل إنسانٍ على دمه وعرضه وماله ، ويطمئن فيها إلى عدالة التشريع والقضاء ، وكفالة المجتمع والدولة ،

وسعادة الدنيا والآخرة .

ويدعوهم إلى القوة والعزة ، والثقة بدينهم وبربهم ، ومكافحة الظلم والبغي والفساد على ثقةٍ بالنصر من عند الله الذي يتولى الصالحين .

ويدعوهم إلى الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وقد يصيبهم الموت في هذا الجهاد ، ولكن في الاستشهاد حياة ، حياة عند الله للشهداء ، وحياة لأُمتهم في الأَرض واستعلاء ، وهكذا دعاهم إلى الموقعة التي أَحيتهم وأَعزتهم ، وأَحيت الاسلام وركزت رايته على الأَجيال .

إن الإسلام دين حياة ، لا عقيدة انعزال ، دين إيجابي تنمو الحياة في ظله وترتقي ، لأَنه يسبق خطى البشرية دائماً ، ويقودها في مدارج التعمير والإنشاء والتطور

والارتقاء ، إنه نظام كامل لحياةٍ كاملة ، وليس مجرد عقيدة روحية للتهذيب والإرشاد . إنه يأْخذ من الحياة ويعطي ، ويدفع بالحياة إلى الأَمام محكومة بنظامه الذي لم تعرف له البشرية نظيراً منذ كان الانسان .

والتعبير يجمل هذا كله ، ويجمل معاني أُخرى كثيرة ، وصوراً شتى للحياة المتجددة تكمن كلها في كلمات قليلة ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ . فكل صورة من صور الحياة ، وكل معنى من معانيها المتجددة سواء كانت مستترة في الضمير أَو بادية للعيان ، كلها تتراءى من خلال العبارة المجملة وتنبض في الوجدان .

كانت تباشير اليوم الجديد ، من العام الميلادي العتيد ، تتسرب إلينا نوراً حائراً

من خلال الستائر الشافّة ... قلت : ألا نصلي الصبح ، قال الصديق : «الشـاي» ، جاهز ، والماءُ الدافيءُ ميسور ...

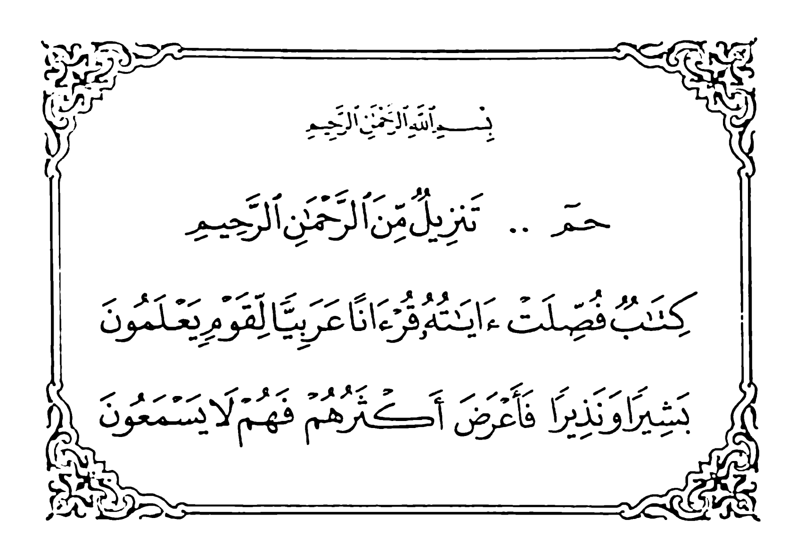
أَطفأَتُ الأَنوار ، وسبحنا في جوٍ ليلكيٍ حالم ، وقرأْنا في الصلاة خاشعين : ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا استَجِيبوا لله وللرسول إذا دَعاكُمْ لما يُحْيِيكم ، واعْلَموا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وقَلبِهِ ، وأَنه إِليه تُحْشَرُونَ . واتَّقُوا فِتْنةً لا تُصِيبَنَّ الذين ظَلَمُوا منكُم خاصةً ، واعلمُوا أَنَّ اللهَ شديدُ العِقابِ ، واذكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قليلٌ مُستَضعَفُونَ في الأَرضِ ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ الناسُ ، فآوَاكمْ وأَيَّدَكُمْ بنصرِهِ ، ورزقَكَمُ من الطَّيِباتِ لعلَكُمْ تَشْكُرونَ ... ﴾ وبين الدعاءِ والبكاء تذكرنا أَجواءَ غزوة بدر التي نزلت هذه

الآيات بمناسبتها .

قال طالب : كنا نريد أن نستجرّ (عمّار) إلى ليلةٍ حمراءَ مغرقة ، فاستجرّنا إلى ليلةٍ بيضاءَ مشرقة !! قال عمار في فرح وتواضع: بل الله سبحانه ساق إلينا الأساتذة الكرام ، ولله جنود السموات والأرض ، وما أدري هل أنتم نادمون ؟ قال رفاقه الطلاب : حاشَ لله ... شتان شتان بين حياة باريس وحياة الإسلام ! علينا عهد لله ، أن نمضي في صراط سديد ، مع العام الجديد . فادع الله لنا بالتوفيق ... قال : ادع لنا يا أستاذ :

- ﴿ربنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إذ هديتنا ، وَهبْ لنا من لَدُنْك رحمةً إنَّك أنت الوهّاب﴾ اللهم يا مقلِّبَ القلوبِ والأبصارِ ، ثَبِّتْ قلوبَنا على الإيمان ...

قُرآنٌ عَرَبِي


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
حمٓ .. تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ

قرآنٌ عَرَبي

في مساحات مديدةٍ ، وأَقطارٍ مترامية ،
من ساحات كوننا المعمور ، تتبوأُ بلاد العرب
مكانها المرموق ، رابضةً على قابلياتٍ بشريةٍ
فائقة ، وثرواتٍ معدنيةٍ سخية ، وحقولٍ
واسعةٍ خصيبةٍ ؛ فمن تخوم إيران شرقاً ،
إلى شواطىءِ المحيط الأَطلسي غرباً ، ومن
سواحل البحر الأَبيض المتوسط ، وهضاب
الأَناضول ، في الشمال ، إلى المحيط الهندي

بلاد العرب في استراتيجية العالم

ومنابع النيل والصحراء الكبرى ، في الجنوب تحتل عشرات الملايين العربية اليوم موقعها الخطير في استراتيجية العالم .

العالم الاسلامي

وفي مساحاتٍ أَوسع مدّاً ، وأَقطارٍ أرمى بعداً ، وثرواتٍ أَغنى وأَضخم ، وسكان يَعُدون مئات الملايين ، يحفُّ العالم الإِسلامي ببلاد العرب من كل جانب ، متوجهاً بروحانيته الخالصة ، نحو قلبها الخالد ، الذي ما فتىءَ يُفيض النور ، هدايةً للناس ورحمةً للعالمين ، مستجيباً لأَمر أَحكم الحاكمين : ﴿ ... فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرامِ ، وَحَيْثُما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَه ... ﴾ .

هذه البلاد العربية ، وتلكم الأَقطار الإِسلامية ، بما بينها من وشائج وثيقةٍ ،

حيزهام في خارطة الدنيا

وأسبابٍ موصولةٍ ، وما تتربعُ عليه من كنوزٍ ، وتشغله من حيزٍ هامٍ في خارطة الدنيا ، كانت وما تزال مركز ثقلٍ ، ومحطّ أنظارٍ ، وانها قد تبدو اليوم أكثر من ذي قبل ، مطمع التنافس المحتدم ، بين معسكرات الشرق الشيوعية ، والغرب ــ الرأسمالية ، كلٌ يريد أن يستميلها لوجهته ، ويستثمرها لمصلحته ، يقيم فيها قواعده ، ويصبغها بصبغته ، فيعمل لذلك بكل ما يستطيع من صبرٍ ومكر !

امة واحدة

هذه البلاد والأقطار ، على تعددها وتباعدها ، جعلها الله ــ برحمته لها وبعبادتها له ــ أمةً واحدة : ﴿ إِنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وأنا ربُكُمْ فاعْبُدُونِ ﴾ .

وقد أكرمها سبحانه فارتضى لها ديناً

دين الفطرة

الاسلام القمة

أكمله ، وأتم عليها به نعمته – وهو دين الفطرة منذ فطر البشر : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسلامُ﴾ – بعد أن تعهده بهديه وأنبيائه عبر الدهور والعصور حتى وصل إلى أمتنا كاملاً مصفّى ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ . فهو « الإسلام القِمة » الذي بعث به محمدٌ صلى الله عليه وسلم . ولم تقف رحمة الله ونعمته عند هذا الحد بنا ، بل خَصَّنا وميّزنا « بالتوسط » لندعو البشرية كافةً ، إلى ترك غلوائها وتطرفها ، ولنقدم لها من حالنا حلاً لمشاكلها ، ومن منهاجنا نموذجاً تحتذي به في حياتها ، وأشهدَنا عليها ، فجعل لنا بذلك قوامةً وشأْناً في الانسانية ، ما دمنا على الديدن والدين الذي

امة وسطا

ارتضى لنا : ﴿وكذلكَ جَعلناكم أُمّةً وَسَطاً ، لِتكونوا شُهَداءَ على الناس﴾ وزاد جل جلاله في تبصيرنا بتبعتنا المقدسة ، وبأَننا مراقبون مسؤولون فقال : ﴿ويكونَ الرسولُ عليكُمْ شَهيداً﴾ .

رسول الرحمة للعالمين

وليس رسولنا كالرسل ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً ، ولكن له مقاماً فَذّاً ؛ يقول جلّ وعزّ ، بصيغة النفي والحصر لتوكيد التعميم : ﴿ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رحمةً للعالَمِين﴾ .

عالم الغيب

فإذا فهمنا من العالمين عالم الغيب ، وعالم الشهادة ، انتقل بنا تفكيرنا ، بالنسبة لعالَم الغيب ، إلى النظر في قوله تعالى : ﴿وإذ صَرَفْنَا إليكَ نَفَراً من الجِنِّ يَسْتَمِعونَ القرآنَ فلما حَضَرُوهُ قالوا ،

أَنْصِتُوا ، فلما قُضِي . وَلَّوْا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومَنا إنَّا سَمِعنَا كتاباً أُنزِلَ مِنْ بعد موسى مُصَدِّقاً لِمَا بين يَدَيْهِ ، يَهْدِي إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مُسْتقيمٍ . يا قومَنا أَجِيبُوا داعيَ الله ، وآمِنُوا بهِ يَغْفِرْ لكُمْ من ذُنُوبِكم ويُجِرْكُمْ من عَذابٍ أَليمٍ ﴾ .

وقد آمن به من الجن من آمن واهتدى ، يقول سبحانه : ﴿قلْ أُوحِيَ إليّ أنَّهُ آستَمَعَ نفرٌ من الجن فقالوا إنَّا سمعنا قُرْآناً عَجَباً ، يَهْدي إلى الرُّشْدِ ، فآمَنَّا به ولنْ نُشْرِكَ بربِنَا أَحَداً ﴾ .

أَما بالنسبة لعالم الشهادة ؛ فالأَمر واضح وحسبنا أَن نستشهد بقوله عزّ شأْنه بنفس صيغة النفي والحصر لتوكيد التعميم :

عالم الشهادة

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كافةً للناس بَشِيراً ونَذِيراً ﴾

وتمتد هذه الرسالة في البلاد والعباد « كافةً » لتشمل ناس الأَرض جميعاً حتى يرث الله الأَرض ومن عليها .

كانت معجزات الأَنبياء عليهم الصلاة والسلام حسيّة ، وأَدت مهمتها ، بأَمر الله ، في الأَقوام التي بعثوا إليها ؛ وبقيت ذكرى وتذكرة .

القرآن معجزة الاسلام

أَما هذا القرآن « معجزة الإسلام » فقد تسامى فوق عوالم الحس وأَغلاقها إلى عوالم الروح وآفاقها ، فكان هديه باقياً نامياً ؛ وكان إعجازه من الله سرّاً مستمراً ، لا يفنى جديده ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلقه طول العهد .

﴿والسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ . والأَرضِ ذَاتِ الصَّدْعِ . إنه لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وما هُو

بالهَزْلِ﴾ .

﴿الٓر ، كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ، ثم فُصِّلَتْ من لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾

﴿قلْ أَنزَلَهُ الذي يَعْلَمُ السِّرَّ في السَمَٰواتِ والأَرضِ﴾ .

﴿... وإِنَّهُ لَكِتابٌ عزيزٌ لاَ يَأْتِيهِ الباطِلُ من بينِ يَدَيْهِ ولا من خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ .

القرآن للانسانية جمعاء

والقرآن للإِنسانية جمعاءَ – ما دامت في الوجود إِنسانية – لتلتزم بنصوصه وتستهدي بهديه . أَسّس الله به الدعائم ، وأَحكم الأَحكام ، ثم ضرب الأَمثال وصرّفها ليتذكر بها أُلُو الالباب فيسيرون فيما جدّ من حياتهم في ضوئها وعلى هداها .

﴿إِنَّا أَنْزَلْنا عليكَ الكتابَ للناسِ بالحَقِّ﴾

﴿وقُرآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ على الناسِ ، على مُكْثٍ ، ونَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً﴾

﴿ولقد صَرَّفْنا في هذا القرآنِ للناس من كلِ مثلٍ ، وكان الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جَدَلاً﴾

﴿ولَقدْ ضَرَبْنَا للناس في هذا القرآنِ من كلِ مَثَلٍ لعلَّهُمْ يتذكرون﴾

﴿وذِكرَى للمؤمنين﴾

﴿طس . تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مُبينٍ ، هدىً ...﴾

﴿إنْ هُو إلاَّ ذكرٌ للعالَمينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بعدَ حِينٍ﴾ .

والقرآن كتاب داعيةٍ ودعوة ، ونفير جهاد ، وأَمر تحرُّكٍ وتخطيط :

فالدعوة والداعية :

﴿ لقد مَنَّ اللهُ على المؤمنينَ إذ بَعَثَ فيهم رسولاً من أَنفُسِهِمْ ، يَتْلُو عليهم آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ . ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ وَالحِكْمَةَ ، وإنْ كانوا من قبلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ .

كتاب دعوة وداعية

﴿ الٓر . كتابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيكَ لِتُخْرِجَ الناسَ من الظُّلُماتِ إلى النُّور بإِذْنِ رَبِّهِمْ إلى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَميدِ الذي له ما في السموات وما في الأَرض ﴾ .

﴿ وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يُحدِث لهم ذكرا ﴾ .

﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِرٍ ﴾ .

﴿ وبالحقِّ أَنْزلناهُ وبالحق نَزَلَ . وما أَرسلناك إلا مبشِّراً ونذيراً ﴾ .

وهنا « بالنذير » ينطلق الجهاد والنفير :

نفر وجهاد

﴿ وإنَّهُ لَتَنْزِيلُ ربِّ العالَمين نَزَلَ به الرُّوحُ الأَمينُ على قلبك لتكونَ من المُنْذِرِينَ ﴾

﴿ ... وتُنْذِرَ به قوماً لُدًّا ﴾

﴿ وقال الرسولُ : يا ربِّ إنَّ قومي اتخذوا هذا القرآنَ مَهْجُوراً ﴾

﴿ ... وكذلكَ جَعَلنا لكلِ نبي عدواً من المجرمين ... ﴾

وأمر التحرك والتخطيط :

تخطيط وأمر بالتحرك

﴿ ... فارتقبْ إنَّهم مُرْتَقِبُونَ ... ﴾

﴿ إنا أَنزلناهُ في ليلة مبارَكةٍ ، إنَّا كنا مُنذِرينَ ، فيها يُفْرَقُ كلُّ أَمرٍ حكيمٍ ﴾

﴿ أمراً من عندنا ... ﴾

﴿ ... قمْ فَأَنْذِرْ ... ﴾

والقرآن ، توطيد إيمان ، على أَساسٍ

من علم نفس الإنسان ، حتى يَثْبُتَ القلب ، وينطلق الركب ، واثق الخطو ، مستبشر الجنان ، مطمئن اليقين في المسير وفي المصير :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ من ربِّك بالحق لِيُثَبِّتَ الذين آمنوا وهُدىً وبُشْرَى للمسلمين ﴾

تثبيت وتسديد وتأييد

﴿ ... قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاءٌ ﴾

﴿ إنَّ هذا القرآنَ يَهْدِي للتي هي أَقْوَمُ ويُبَشِّرُ المؤمنينَ الذين يعملونَ الصالحاتِ أَنَّ لهم أَجراً كبيراً ﴾ .

﴿ ونُنَزِّلُ من القرآنِ ما هو شِفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ، ولا يَزِيدُ الظالمينَ إلا خَسَاراً ﴾ .

والقرآن العظيم زجرٌ وتحدٍ من الله القادر القاهر ، للعبد المغرور الكافر المكابر :

﴿ وما كانَ هذا القرآنُ أَنْ يُفْتَرَى من

زجر وتحد للمكابرين

دونِ اللهِ ، ولكنْ تَصْدِيقَ الذي بينَ يَدَيْهِ ، وتفصيلَ الكتابِ ، لا رَيْبَ فيهِ ، من ربِّ العالَمين ﴾ .

﴿ قُلْ لَئِنِ اجتمعَتِ الإنْسُ والجِنُّ ، على أَنْ يَأْتُوا بمثل هذا القرآنِ ، لا يأْتونَ بمثلهِ ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظَهِيراً ﴾ !

وفي القرآن تمحيصٌ للناس واختبار لإيمانهم وإسلامهم :

تمحيص واختبار

﴿ هو الذي أَنزلَ عليك الكتابَ منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكتاب ، وأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ . فأَمَّا الذين في قلوبهم زَيْغٌ فيتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ منه . ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابتِغاءَ تَأْوِيلِهِ . وما يَعلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ . والرَّاسِخونَ في العِلْمِ يقولون . آمَنَّا بهِ كلٌّ من عندِ ربِنا ، وما يذَّكرُ إلا أُولوا الأَلْبابِ ﴾ .

﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآنَ ، ولو كانَ من عندِ غيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾

أفلا يتدبرون القرآن

﴿ أَفلا يتدبرون القرآن أَم على قلوبٍ أَقْفالُها ﴾ ...

ويا عجباً عجباً من أولئك القاسية قلوبهم ، لا يخشعون ولا يتذكرون !

﴿ في آذانِهمْ وَقْرٌ ، وهو عليهمْ عَمىً ، أَولئك يُنَادَوْنَ من مكانٍ بعيدٍ ﴾ .

﴿... فهي كالحِجارةِ بلْ أَشَدُّ قَسْوةً . وإنَّ من الحجارة لَمَا يَتَفَجَّرُ منه الأَنهارُ وإنَّ منها لما يَشَّقَّقُ فَيخْرُجُ منه الماءُ وإنَّ منها لما يَهْبِطُ من خَشْيَةِ اللهِ ... ﴾

﴿لوْ أَنزلنَا هذا القرآنَ على جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً من خشيةِ اللهِ ﴾ ...

أَما المؤمنون الذاكرون فلهم مع القرآن خشوع ودموع وخلوات وجلوات :

خشوع الذاكرين

﴿اللهُ نَزَّلَ أَحسنَ الحديثِ كتاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ منه جُلودُ الذين يَخْشَوْنَ ربَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلودُهم وقلوبُهُمْ إلى ذكرِ اللهِ ، ذلك هُدَى اللهِ يَهْدِي به من يشاءُ﴾ .

●

الاستعمار يحارب القرآن

لقد أَدرك « الاستعماريون » الدهاة ، من شرقيين وغربيين ، أَثر القرآن هذا وركنيته في الأُمة الاسلامية ، وما يبعثه فيها من عزةٍ وقوةٍ ، وثقةٍ وتضامن وحكمة ، — ورأْس الحكمة مخافة الله — فامتلأُوا غيظاً ، وأَخذتهم العزة بالإثم ، وقدّروا أَنَّ أَغراضهم الاستعمارية لا يمكن تحقيقها ، إلا بابعاد المسلمين عن قرآنهم ، وتوهين ارتباطهم

به ، واتباعهم له ؛ فمكروا وتآمروا ؛ ورسموا الخطط الخفية الشيطانية ومضوا يحققون أَغراضهم في مكرٍ وعناد .

وهكذا وعن طريق الاستيلاء على مرافق التعليم والإِعلام ، وبالإِغراءِ والإِغواءِ ، وفي ظل تسلط الاستعمار وبغيه ، وبجهود مؤسسات التبشير والاستشراق ، استطاع أَعداؤنا أَن يشيعوا بين الناشئة شكوكاً حول الإِسلام والقرآن ، وأَن يستعينوا في ذلك بمن ينصبونهم حكاماً من أَبناءِ جلدتنا.

فصل الدين عن الدولة

ولا سيما في إِشاعة الدعوة إِلى القومية ، والترويج لفصل الدين عن الدولة ! وقد تطاول بعضهم فزعم أَن القرآن كلامُ ذاتِ الرسول ، وليس وحياً إِليه من ربه . وشايعهم في كل ذلك نفر من المأْجورين أَو

المغرورين ، وإنها لشنشنةٌ قديمة ، وكيدٌ عتيق ، هتك الله ستره وفضح أمره :

﴿ وإنك لَتُلَقَّى القرآنَ من لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ... ﴾

﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بما تُبْصِرُونَ ، وما لا تبصرون ، إنَّه لقولُ رسولٍ كريم ، وما هو بقولِ شاعرٍ ، قليلاً ما تُؤمِنونَ ، ولا بقول كاهِنٍ قليلاً ما تَذَكَّرُونَ ، تنزيلٌ من رب العالمين ، ولو تَقَوَّلَ علينا بعضَ الأَقاويلِ لأَخَذْنا منه باليَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا منه الوَتِينَ ، فما منكم من أَحدٍ عنه حَاجِزِينَ ، وإنَّه لَتَذْكِرةٌ للمُتَّقِينَ ، وإنَّا لنعلمُ أَنَّ منكم مُكَذِّبِينَ ، وإنَّهُ لَحَسْرةٌ على الكافِرينَ ، وإنه لَحَقُّ اليَقِينِ ، فسَبِّحْ باسم ربِّك العظيمِ ﴾ .

●

سر الله لا يقهر

... ونال أعداءُ الاسلام من أُمته بعض ما يريدون .. ولكن إلى حين ! فإن سرّ الله لا يقهر ، والروح التي غرسها بيده ، لا تستطيع أن تقتلعها طواغيت الانس والجن ، ولو كان بعضها لبعض ظهيراً !

وهكذا قامت الثورات والحروب في مختلف أوطان الأُمة الإسلامية وانتهى كثير منها إلى التحرر من ربقة الاستعمار الدخيل.

حروب التحرير

ومما لا شك فيه أن « الإسلام » وما في روحه من رفض الذل والعبودية كان المحرك الأصيل لحروب التحرير هذه ولا سيما في « الجزائر » وبلاد شمال افريقيا التي نطلق عليها اليوم « المغرب العربي الكبير » وإنها في الحق « المغرب الاسلامي الكبير » .

وقد وجد الاستعماريون أنفسهم مضطرين

إلى مواجهة الواقع ، ولكنهم لم يُسَلِّموا ، بل عمدوا إلى أُسلوب جديد فأَحلُّوا في خطتهم الجهنمية الاستثمار مكان الاستعمار ، وتبدلوا غزو البلاد بالسلاح ، بغزو العقول والنفوس والأَذواق بمبادئهم الهدامة ، ووسائلهم المغرية وما فتئوا ينشرون التشكيك بالقيم الاسلامية ويعملون على استبدالها بمفاهيمهم وقيمهم حتى يجرِّحوا بذلك تميّز الشخصية الاسلامية وتماسكها .

الغزو الفكري

وإننا لنجد النهضة المباركة في بلاد العرب والمسلمين تتعرض أكثر فأَكثر لضروب من التأْثيرات ، وتواجه أَفانين من النظم والمذاهب تحيط بساحاتها الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتحاول أَن تنفذ إليها ، وقد التبست فيها وجوه

الحق بالباطل والصواب بالخطأ . حتى أَصبحت خطوات هذه النهضة وئيدة وئيدة ، وقام في أُمتنا من أَبنائها ، من يفرّق صفها ويزرع بينها الشكوك والشحناءَ والبغضاءَ . وقد بات على رجال الرعيل وقادة الجيل أَن يتبينوا جيداً ، مواقع الخطو ، ويتثبتوا من اتجاه الطريق ، لأَن لهذه النهضة ما بعدها للأُمة الاسلامية وللانسانية جمعاءَ . فهي جديرة أَن تستحق من العاملين المخلصين مزيداً من الوعي والعمق والتركيز ، في كثيرٍ من التضامن والتعاون وإنكار الذات ، والعاقبة للمتقين ، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نورَ اللهِ بأَفْوَاهِهِمْ ويَأْبَى اللهُ إلاَّ أَنْ يُتِمَّ نورَهُ ولو كَرِهَ الكافِرُون ، هو الذي أَرسلَ رسولَهُ بالهُدَى ودينِ الحقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّين كلِّهِ﴾.

النهضة ومعوقاتها

العاقبة للمتقين

●

وبعد ، فثمة أمر هامٌ أَخير خطير ، يجب أَن نلتفت إِليه ، ونتبين معالمه ومعانيه ومراميه ، إنه : ﴿ قرآن عربي ﴾ .

يقول الله جلّت حكمته :

﴿ وكذلكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرآناً عربياً ﴾

﴿ ... بلسانٍ عربي مُبِينٍ ﴾

﴿ ... قرآناً عربياً غيرَ ذِي عِوَجٍ ﴾

﴿ ... كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُه قُرآناً عربياً لقومٍ يعلمون ﴾

﴿ ...إنَّاجعلناهُ قرآناًعربياً لعلكم تَعْقِلُونَ ﴾

﴿ ... وكذلكَ أَنزلناهُ حُكْماً عربياً ﴾

﴿ ... إنَّا أَنزلناهُ قُرآناً عربياً لعلكم تعقِلون ﴾

قرآن عربي

﴿ فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بلسانِكَ ﴾

﴿ لقدْ أَنزلْنا إِليكم كتاباً فيه ذِكرُكُم أَفلا تعقِلون ﴾

﴿ ... وإِنَّهُ لذِكْرٌ لك ولقومك وسوف تُسأَلُونَ ﴾ ...

من هنا ، من ترديد الله العليم الحكيم للفظة « العربي » مقرونة بالكتاب واللسان ، والحكم والقرآن : عربيٌّ .. عربيٌّ ... ما زال يحاول الاستعمار الجديد ، والذين انخدعوا به أَو استؤجروا من قبله ، أَن يثيروا النعرة القومية ، عصبيةً جاهلية : يفرقون بها بين المسلمين ، ويحلُّونها في حياتهم دعوة ونظاماً ، بدل دعوة الاسلام ونظامه !

العصبية القومية تفرق المسلمين

وللقول هنا مجال طويل جليل ، لا

تتسع له العجالة ، ولكننا نوجز :

من هو العربي

أولاً : من هو العربي : روى ابن كثير عن معاذ بن جبل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : «ألا إن العربية اللسان ، ألا إن العربية اللسان» . وروى الحافظ ابن عساكر بسنده عن مالك رضي الله عنه قال : قال عليه الصلاة والسلام وكان يخاطب جماعة من المسلمين عرباً وغير عرب : « ليست العربية بأحدكم من أبٍ ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي » .

حب العرب

ثانياً : حب العرب : وقد وردت فيه آثار عدة نكتفي منها بالحديث المأثور المشهور : « أحبوا العرب لثلاث : أنيّ عربي والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي ».

رسول الاسلام عربي ، فمن أحب العرب

فبحبه أَحبهم ، والقرآن ؛ كلام الله المجيد وكتاب الاسلام ودستوره ، عربي ؛ وهو عمود الهداية وركن الاسلام وبقاء المسلمين . فهو حبيبٌ إليهم بالعقل كما هو حبيب إليهم بالعاطفة ، ولا يتم حبه إلا بمعرفة أَغواره وأَسراره ، ولا يتأَتَّى ذلك بغير إجادة لغته إقبالاً عليها من أَعماق القلب ، ودرايةً لها بأَعماق العقل والفهم والعلم . وكلام أَهل الجنة عربي ، أَفلا يهمنا في هذه الدنيا ترديدُه ؛ نعيده ونجيده ؟! .

لغة القرآن

ثالثاً : الله واحد أَحد ، والاسلام دينه ، دين التوحيد ، والأُمة الإسلامية المحمدية ؛ رسولها واحد عربي ، وكتابها واحد عربي ، ولها كعبة واحدة في مكة العربية ، ولكنَّ كيانها وبنيانها من المسلمين كافة ، أَما

العروبة مسؤولية اسلامية

رسالتها فللانسانية جمعاء :

أَجل ، لقد بدأَت من بــلاد العرب ، وانطلقت أَول ما انطلقت على كواهل العرب الذين شاع ذكرهم بالإِسلام ، وجل حكمهم بالإِسلام ، وعزَّ جمعهم بالإِسلام .

فالقرآن العربي ، بالتعميم ، للمسلمين جميعاً وللبشر كافة . وهو بالتخصيص ذكر لرسول الاسلام العربي ، ولقومه العرب المسلمين وسوف يُسأَلون عن حمل هذه الامانة المقدسة ، وحماية هذا الشرف العظيم ، وهم مدعوون بالقرآن إلى حمل واجب هذا المقام الذي لم يكن لهم إلا بالإِضافة إلى الاسلام فإذا تخلوا عن الإِسلام زال ودال ...

قالوا العروبة : قُلْنا إِنَّهــا رحِــمٌ
وموطــنٌ ومُــروءَاتٌ ووجدانُ

أمّا العقيدةُ والهَدْيُ المنيـــرُ لنـــا
دربَ الحيـــاةِ فإسلامٌ وقُرآنُ

وشِرْعَةٌ قد تـآخت في سماحتِهـــا
وعدلِهـــا الفَـــذِّ أَجناسٌ وأَلـــوانُ

قَلْبٌ من النور يُحيي جِسمَ حامِلِهِ
لـــه جناحـــانِ : إِيمـــانٌ وإِحسانُ

رسالةٌ ورَسولٌ جَـــلَّ رَبُّهمـــا
والدِّينُ أَجـــدَرُ مَنْ يَرْعَـــاه ديّانُ

رابعاً وأخـــيراً ؛ حكمة الله قضت ، ورحمته ونعمته . وقد اختار للانسانية رسالتها السماوية الأَخيرة : « الاسلام » وجعل لها دستوراً خالداً : « القرآن » ـ أَن تكون لها لغةٌ واحدة ، تتغير اللغات ولا تتغير ، وتتحول الثقافات ، وثقافتها باقية نامية ألا وهي « العربية » تجمع الأُمة في بنيان ،

وتخاطب فيها الايمان ، بإعجاز القرآن ، ما دام الزمان .

●

وأخيراً ، ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنوا أَنْ تَخْشَعَ قلوبُهم لذكرِ الله وما نَزَلَ من الحقِّ ولا يكونوا كالذين أُوتُوا الكتابَ من قبلُ فطالَ عليهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قلوبُهُمْ وكثيرٌ منهم فاسِقونَ ﴾ .

نحن في رمضان ، في عشره الأَواخر ، وعن قريب نودعه بعد أن أَرتفع بحياتنا المعتادة أَياماً إلى مستوى سامٍ من الأَخلاق والإشراق ؛ فهل نودّع معه إسلامنا وأَمانته ، وقرآننا ورسالته ، وديننا وهدايته ، وهو الدستور الحق ، والنُظُم البينات حتى آخر الحياة !!!

﴿شهرُ رَمَضانَ الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ ، هُدىً للناس وبيِّنَاتٍ من الهُدَى والفُرْقانِ﴾ .

﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجوم وإنَّه لَقَسَمٌ لو تعلمونَ عظيمٌ ، إنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ في كتابٍ مَكْنُونٍ ، لا يَمَسُّهُ إلا المُطَهَّرُونَ تنزيلٌ من ربِّ العالَمينَ﴾ .

دعوة الى الثبات على الحق

يا **معشر المسلمين** ، وأَحفاد الهداة الأُباة ، يا دعاة الحق والإِيمان والإِحسان ؛ سيقول لكم « أَصحاب المذاهب » ليفتنوكم عن دينكم : « رجعيون » ! تدعون إلى أَمر قد جاوزته القرون ! قلةٌ ، أَنتم في وادٍ ، والعالم كثير في وادٍ آخر ، فاتركوا ما تتمسكون به من حضارة دين السماء إلى حضارة الطين والماءِ ، لتكونوا من « التقدميين » وتسايروا ركب « القرن العشرين » ...

أَعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم .

... ﴿ وَتَمَّتْ كلمةُ رَبِّكَ صِدْقاً وعَدْلاً ، لا مُبَدِّلَ لكلماتهِ وهو السميعُ العليمُ . وإنْ تُطِعْ أَكثرَ مَنْ في الأَرض يُضِلُّوكَ عن سبيلِ اللهِ ، إنْ يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وإنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ .

مضاء وثقة بالله

الهولُ في دَرْبي وفي هدفي
وأظلُّ أمضي غيرَ مُضْطَرِبِ
ما كُنْتُ مِنْ نفسي على خَوَرٍ
أَو كنتُ مِنْ رَبِّي على رِيَبِ
ما في المنايا ما أُحاذِرُهُ
اللهُ مِلءُ القَصْدِ والأَرَبِ

●

ثناء .. ورجاء

* الثناء على «دار القرآن الـكريم» لما بذلت من اتقان وإحسـان في إخراج الـكتاب ..
* والرجاء ممن له عليه ملاحظة أن يكـتب بها إلى صـاحبه مشكوراً.

العنـــوان :

5 شـارع بنى ملّال

الرباط (المغـرب)

أرقام الآيات المستشهد بها وسورها

1

في غار حراء

السورة	رقمها	الآية	رقم الآية
العلق	(96)	إقرأ باسم ربك	(1—5)
الاسراء	(17)	قل سبحان ربي	(93)
الانفطار	(82)	وإن عليكم لحافظين	(10—11)
البقرة	(2)	قل إن هدى الله	(120)
الزخرف	(43)	وإنه لذكر لك	(44)
القدر	(97)	إنا أنزلناه	(1—3)

2

أمّ الكتاب

السورة	رقمها	الآية	رقم الآية
الرعد	(13)	يمحو الله ما يشاء	(39)
الفاتحة	(1)	الحمد لله	(2)
الشعراء	(26)	قال فرعون	(23—24)
النبأ	(98)	يوم يقوم الروح	(38)

السورة ورقمها		الآية ورقمها
الحجر :	(15)	نبىء عبادي . . . . (49)
الاعراف :	(7)	وسعت كل شيء . . . . (156)
غافر :	(40)	لمن الملك اليوم . . . . (16)
آل عمران :	(3)	إن الدين عند الله الاسلام . . . . (19)
المائدة :	(5)	اليوم أكملت لكم دينكم واتممت . . . . (3)
البقرة :	(2)	وكذلك جعلناكم أمة وسطا . . . . . (143)
البقرة :	(2)	ويكون الرسول عليكم شهيداً . . . . (143)
الأنبياء :	(21)	وما ارسلناك الا رحمة للعالمين . . . . . (107)
الأحقاف :	(46)	واذ صرفنا اليك نفراً من الجن . .(29—30—31)
الجن :	(72)	قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن . . . (1)
سبأ :	(34)	وما ارسلناك إلا كافة للناس . . . . . . (28)
الطارق :	(86)	والسماء ذات الرجع والأرض ذات . . . (11)
هود :	(11)	ألر . كتاب أحكمت آياته ؛ ثم فصلت . . (1)
الفرقان :	(25)	قل أنزله الذي يعلم السر في السموات . . (6)
فصلت :	(41)	وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه (41)
الزمر :	(39)	إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق . . . (41)
ص :	(38)	إن هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه . . . (87)
الاسراء :	(17)	وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس . . . . (106)
الروم :	(30)	ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن . . . . (58)
الاسراء :	(17)	ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل(89)
النمل :	(27)	طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين. . . (1)

السورة ورقمها		الآية ورقمها
آل عمران :	(3)	لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم . . . (164)
ابراهيم :	(14)	الر ، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس . . . (1)
طه :	(20)	وصرفنا فيه من الوعيد . . . . (113)
القمر :	(54)	ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من . . . . (22)
الاسراء :	(17)	وبالحق أنزلناه وبالحق نزل . . . . . . (105)
الشعراء :	(26)	وانه لتنزيل رب العالمين . . . . (192)
مريم :	(19)	... وتنذر به قوماً لداً . . . . (97)
الفرقان :	(25)	وقال الرسول : يا ربي ان قومي اتخذوا ... (30)
الفرقان :	(25)	.. وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً .. . . . . (31)
الدخان :	(44)	فارتقب انهم مرتقبون . (59)
الدخان :	(44)	انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا . . . . (3)
الدخان :	(44)	أمراً من عندنا . . . . (5)
المدثر :	(74)	قم فأنذر . . . . (2)
النحل :	(16)	قل نزله روح القدس من ربك . . . . (102)
فصلت :	(41)	قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء . . . . . (44)
الاسراء :	(17)	ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم . . . (9)
الاسراء :	(17)	وننزل من القرآن ما هو شفاء . . . . . (82)
يونس :	(10)	وما كان هذا القرآن ان يفترى . . . . . (37)
الاسراء :	(14)	قل : لئن اجتمعت الانس والجن . . . . (88)
آل عمران :	(3)	هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات (6)
النساء :	(4)	أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله . (82)

السورة ورقمها		الآية ورقمها	
محمد	: (47)	افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها . .	(24)
البقرة	: (2)	فهي كالحجارة أو أشد قسوة	(74)
الحشر	: (59)	لو انزلنا هذا القرآن على جبل	(21)
آل عمران	: (3)	ان الدين عند الله	(19)

3

الاسلام والحياة

البقرة	: (2)	الله لا إله الا هو	(255)
طه	: (20)	وعنت الوجوه للحي القيوم	(111)
الفرقان	: (25)	وتوكل على الحي	(58)
غافر	: (40)	هو الحي لا إله إلا هو	(65)
المؤمنون	: (33)	هو الذي يحيي ويميت	(80)
القيامة	: (75)	أليس ذلك بقادر	(40)
يس	: (36)	وضرب لنا مثلا ونسي خلقه	(78)
الانبياء	: (31)	وجعلنا من الماء كل شيء حي	(30)
الروم	: (30)	وينزل من السماء ماء	(24)
العنكبوت	: (29)	وان الدار الآخرة لهي الحيوان	(64)
الروم	: (30)	يخرج الحي من الميت	(19)
الروم	: (30)	فانظر إلى آثار رحمة الله	(50)
فاطر	: (35)	وما يستوي الاحياء والاموات	(22)

السورة ورقمها		الآية ورقمها
المرسلات :	(77)	ألم نجعل الأرض كفاتاً . . . . (26)
البقرة :	(2)	ولكم في القصاص حياة . . . . (179)
الانعام :	(6)	وما الحياة الدنيا إلا لعب . . . . (32)
الاعراف :	(7)	فيها تحيون ، وفيها تموتون . . . . (25)
الجاثية :	(45)	وقالوا : ما هي الا حياتنا الدنيا . . . . . . (24)
الروم :	(30)	الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم . . (40)
ابراهيم :	(14)	الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة . . (3)
الاحقاف :	(46)	ويومَ يعرض الذين كفروا على النار . . . (20)
الحديد :	(51)	اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة . . (20)
يونس :	(10)	انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء . (24)
البقرة :	(2)	زين للذين كفروا الحياة الدنيا . . . . . (212)
الشورى :	(42)	فَما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا . . (36)
طه :	(20)	ولا تمدنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً . . (131)
الانفال :	(8)	يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله . . . . . . (24)
البقرة :	(2)	ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات . (154)
آل عمران :	(3)	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً . (169)
الانفال :	(8)	يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله . . (24 حتى 26)
آل عمران :	(3)	ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا . . . . . (8)

السورة ورقمها			الآية ورقمها

4

قرآن عربي

السورة		رقمها	الآية	رقمها
البقرة	:	(2)	فول وجهك شطر المسجد الحرام	(144)
الانبياء	:	(21)	ان هذه امتكم امة واحدة	(92)
الزمر	:	(39)	الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً . . .	(23)
النحل	:	(27)	وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم	(6)
الحاقة	:	(69)	فلاأقسم بما تبصرون وما لا تبصرون	(38–39 حتى 52)
التوبة	:	(9)	يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم . . .	(32)
طه	:	(20)	وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً	(113)
الشعراء	:	(26)	.. بلسان عربي مبين	(195)
الزمر	:	(39)	قرآناً عربياً غير ذي عوج	(28)
فصلت	:	(41)	... كتاب فصلت آياته قرآناً	(3)
الزخرف	:	(43)	... إنا جعلناه قرآناً عربياً	(3)
الرعد	:	(13)	.. وكذلك أنزلناه حكماً عربياً	(37)
يوسف	:	(12)	.. انا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . .	(2)
الدخان	:	(44)	فإنما يسرناه بلسانك	(58)
الانبياء	:	(21)	لقد انزلناه اليكم كتاباً فيه ذكركم . . .	(10)
الزخرف	:	(43)	وانه لذكر لك ولقومك ولسوف	(44)
الحديد	:	(57)	ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم	(16)
البقرة	:	(2)	شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن . . .	(185)
الواقعة	:	(56)	فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه القسم . . .	(75)
الانعام	:	(6)	وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلا . . .	(115)

المحتوى

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

للمؤلف تحت الطبع

- نجاوى محمدية (شعر من وحي الرحاب النبوية) .
- أحاديث من المغرب (فكر .. وشعر .. وحوار) .
- أذان القرآن (شعر إسلامي) .

يصــدر له قريبــاً :

- الإسلام في المعترك الحضاري (طبعة ثانية) .
- عروبة وإسلام (طبعة ثالثة) .
- لقاءان في طنجة (شعر .. وفكر .. وتاريخ) .
- وسطية الإسلام في ضوء الفقه الحضاري .

بعـض آثاره المخطوطـة :

بحوث حضارية وفكرية وأدبية

- الحوار في منهجية البحث المقارن .
- في التصور الحضاري المعاصر .
- في الفقه الحضاري .
- الخصائص الحضارية في الإسلام .
- الدين في الإسلام .. دستور لا طقوس .

- الشخصية المستقلة للحضارة الإسلامية .
- قضية العروبة بين القومية والإسلام .
- إخاء ووفاء للشهيد الزبيري .
- في رياض إقبال .
- أثر الرسالة المحمدية في الحضارة الإنسانية .
- صفحات مبعثرة .. من المذكرات .. والذاكرة .

شعـــر .. وأدب

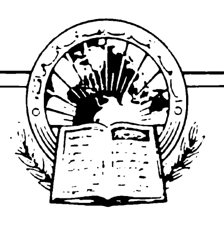
- رماد الفؤاد .
- أصداء الطفولة .
- بواكير .
- قصتي مع الشعر .
- ابوّة .. وبُنُوة .
- اشراق .
- قلب وربّ .
- غربة .. وغرب .
- روحٌ مباح .
- جمال .. وهوى .
- زورق .
- اخوانيات .
- أفانين
- خماسيات .
- عواطف .. وعواصف .
- حبات عنب .
- ثنائيات .
- في بلادي .
- شموع .. ودموع .
- في معارج الأجل .
- رجالٌ .. وأشباه .
- انفاس من فاس .
- بنات المغرب .
- الحان العزلة .
- صراع ...
- المؤودات .

صدر له أيضاً :

- مع اللّه (ديوان شعر إلهي) .
- الإسلام في المعترك الحضاري .
- ملحمة الجهاد .
- المجتمع الإسلامي والتيارات المعاصرة .
- ألوان طيف (ديوان شعر وجداني) .
- عروبة وإسلام .
- الهزيمة .. والفجر (شعر) .
- الأقصى .. وفتح .. والقمة (شعر) .
- من وحي فلسطين (شعر وفكر) .
- مع اللّه (طبعة ثانية ، مع نقد ودراسات) .
- في رحاب القرءان (الحلقة الأولى ـ الطبعة الأولى) .
- أشواق .. وإشراق (شعر) .
- في رحاب القرءان (الحلقة الثانية) .
- ملحمة النصر (شعر) .
- أب .. (ديوان شعر إنساني) .
- ألوان من وحي المهرجان .
- أمي .. (ديوان شعر وجداني) .
- الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة .
- صفحات .. ونفحات (خواطر .. وذكريات .. وتجلّيات) .
- أذان القرءان (ديوان شعر إسلامي)
- لقاءان في طنجة .. (شعر ، وفكر ، وتاريخ)

قيد الطباعة :

- نجاوى محمدية (ديوان شعر نبوي)



دار القرآن الكريم
للعناية بطبعه ونشر علومه

هذا الكتاب

- نفحات من الإيمان النابع من إشراق القلب ، وإلهام الروح ، ووعي العقل . . . بأسلوبٍ رفيع وبيانٍ عذبٍ جذّاب . . .

- حديث ممتع عن « غار حراء » ، وتصوير لِما تولّده زيارته من مشاعر ، ووصف دقيق له ، ولصلاةٍ خاشعةٍ فيه . . .

- تفسير بارع لآياتٍ من القرءآن المجيد . . ، وعرض واضح مبسّط لجوانب من الإسلام . . وإهابة حرّى بالمسلمين أن ينهضوا بعبء الرسالة السامية ، التي جعلها الله أمانةً مقدّسةً في أعناقهم إلى يوم الدين . . .

محمد بسام الزطرابي